

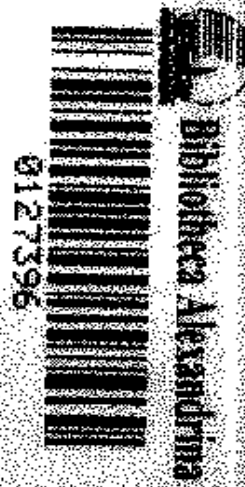
الدكتور صلاح الدين بسيوني رسلان

الوزارات

في الفكر السياسي

دراسة مقارنة

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
مصر - القاهرة



الوزارة في الفكر السياسي
(دراسة مقارنة)

الوزارة في الفكر السياسي

(دراسة مقارنة)

د. صلاح الدين بسيوني رسلان

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبداله غريب

الكتاب : الوزارة في الفكر السياسي

المؤلف : د. صلاح الدين بسيوني رسلان

تاريخ النشر : ٢٠٠٠

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عمده شويب

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

ت : ٢٤٦٢٥٦٢

فاكس : ٢٤٠١٧٤٤

التوزيع : ١٠ شارع كامل صدقي الفجالة (القاهرة)

ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص.ب : ١٢٢ (الفجالة)

المركز الرئيسي : مدينة العاشر من رمضان

المنطقة الصناعية (C1) ت : ٣٦٢٧٢٧ / ١٥٠

رقم الإيداع : ٩٩/١٣٢٠٧

الترقيم الدولي : ISBN

977-303-197-7



مُهَيِّد

تعتبر الوزارة من أهم النظم السياسية التنفيذية على الإطلاق نظراً لهيمنتها على جميع شئون الدولة، فالوزارة هي عصب كل دولة، ومصدر قوة الدفع فيها إما إلى النمو والتقدم أو إلى الانكماش والتعثر وهي بهذا تمثل حجر الزاوية في أي نظام سياسي قائم .

ويشارك الوزراء، في جميع الأنظمة، في عناصر معينة هي (١) :

- ١- إبداء الرأي
- ٢- تنفيذ السياسات العامة للدولة .
- ٣- يرى فيهم الرأي العام واجهة السلطة التنفيذية، فهم مستودع الفكرة وأداة التنفيذ وترى فيهم هذه السلطة وسيلتها في إرضاء الرأي العام خاصة بعد أن استقر الفكر السياسي الحديث على أن تأسيس الحكومات لم يكن إلا من أجل حماية الحقوق، وبالتالي تتركز منابع سلطة الحكومة في قبول المحكومين لها ورضاهم عنها، ذلك الرضاء الذي يعتبر الأساس أو التبرير السياسي للسلطة وهو الذي يصبغ عليها صبغة المشروعية .

(١) د. سعاد الشرقاوي، د. عبدالله ناصف : أسس القانون الدستوري وشرح النظام لسياسي المصري، دار النهضة العربية بمصر ١٩٨٤ ص ٤٤ حاشية ٣.

لهذا قال البعض، متأثر بهذا الواقع، أن السادة الوزراء هم الذين يحكمون في الواقع (٢) .

ومجارة لهذا الفهم، تعرف بعض المعاجم الوزير بأنه :

" هو من يعينه الملك أو صاحب السلطة العليا في البلاد ليتولى شئون الدولة فيستعين برأيه وتدبيره " (٣) .

ومن هنا أصبحت مسئولية الوزراء مسئولية شاملة، فهم مسئولون عن الأضرار التي تنجم عن مزاولتهم لوظائفهم، ومسئولون عن الجرائم التي يقترفونها أثناء مزاولتهم تلك الوظائف .

(٢) جاك دوند يودوفايير : الدولة ترجمة الدكتور سطوحى فوق العادة، منشورات عويدات بيروت ط١، أولى ١٩٧٠ ص ٥ .

(٣) معجم المنجد في اللغة والإعلام، قسم اللغة، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة والعشرون ص ٨٩٨ .

✧ الوزارة في العالم القديم

عرفت الحضارات القديمة في مصر واليونان وروما وآشور وبابل والهند والصين نظام دولة المدينة . وتركزت السلطات في هذه المدن في يد زعيم أو ملك أو قائد يستمد سلطته من الوحي الإلهي، ويجبر الناس على الخضوع والولاء له باعتباره ممثلاً لوحي السماء. ومعنى هذا أن دولة المدينة في هذه الحضارات القديمة قد قامت على فكرة الزعامة واختلاط الدولة بشخص الحاكم .

وقد تميز نظام الدولة القديمة والوسطى بأنها كانت محض منظمة سياسية تستقر على مفهوم أو آخر من مفاهيم نظم الحكم، لكنها تحولت بفعل تطور التاريخ لتصبح كذلك منظمة قانونية تقوم على فكرة الدستور في مفهومها القانوني الملزم (٤) .

✧ الوزارة في مصر الفرعونية :

شكل المصريون القدماء أول مجتمع سياسي، كان مهذاً لأول حضارة تميزت بالسمو الرائع (٥) .

(٤) د. طحمة الجرف : نظرية الدولة والمبادئ العامة للأنظمة السياسية ونظم الحكم (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية بمصر ١٩٧٨ ص ٢٥، ٢٤ .

(٥) فؤاد محمد شبل : الفكر السياسي، دراسات مقارنة للمذاهب السياسية والاجتماعية، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٧٤ ج ١ ص ٤٤، ٣٥، وانظر د. حامد سلطان : القانون الدولي العام في وقت السلم، دار النهضة العربية بمصر، طبعة الثالثة ١٩٦٨ ص ٥٤٢ .

وكانت الأراضي في مصر القديمة مقسمة إلى أحواض Nome تشبه المديرية والمحافظات في عصرنا، وكان على كل منها رئيس أو أمير يخضع للملك الذي كان يظن أنه ابن الآلهة ومن نسلهم والحاكم باسمهم (٦) .

وقد تركزت في يدى الملك الإله جميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وكان القس الرئيسى للدين، ويرأس الحفلات الدينية والطقوس فى المناسبات الهامة، بالإضافة إلى كونه المحكمة العليا الذى ترفع إليه قضايا فى أحوال معينة ومن هنا كان من المستحيل عليه أن يتولى بنفسه هذه المهام، وأصبح لزاماً عليه أن ينيب عنه فى هذا بعض البشر ليعملوا باسمه ويحملون ألقاباً تدل على مسئوليتهم أمامه (٧) .

وقد شهدت الأسرة الرابعة بداية نشأة مناصب الوزير، الذى استمر موجوداً طيلة العصر الفرعونى . ويذهب (ول ديورانت) إلى تحديد بداية نشأة الحكومة فى مصر قبل عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد .

(٦) د. حسن شحاته سعيان : أساطين الفكر السياسى والمدارس السياسية، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م، ص ٣٢ .

(٧) د. بطرس غالى، د. محمود خيرى عيسى : مبادئ العلوم السياسية، مكتبة الأنجلو المصرية ط. أولى ١٩٦٢-١٩٦٣، ص ٣٩ .

الوزارة في الفكر السياسي

وكان للدولة في مصر القديمة مجلس يسمى (مجلس الدولة) يتكون من وزير أكبر (يقوم مقام رئيس الوزراء الآن) ووزراء لمختلف شئون الدولة يعينهم الملك بمراسيم^(٨) .

وكانت مهمة الوزراء حمل أوامر الملك الإله وتعليماته إلى الرعية، وإحاطته علما برغباتهم، وإنفاذ القانون، ومراعاة العرف السائد، وإعطاء كل إنسان حقه . ولذلك نجد الملك الفرعون يوصي وزيره الذي يعينه في منصب الوزير بقوله :

اجعل عينيك على مكتب الوزير، وراقب كل ما يحدث فيه، واعلم أنه هو الدعامة التي تستند إليها جميع البلاد . . ليست الوزارة حلوة بل هي مرة، وليست وسيلة لاتخاذ الناس عبيدا . . إذا أتاك شك من مصر العليا أو السفلى فاحرص على أن يجرى القانون مجراه في كل شيء، وأن يتبع في كل شيء العرف السائد في بلده، وأن يعطى كل إنسان حقه واعلم أن المحاباة بغیضة إلى الإله . . عامل من تعرفه كمن لا تعرفه، ومن يكون من أقارب الملك كمن يكون بعيدا عنه، واعلم أن الأمير الذي يقوم بذلك سيستمر هنا فسي

(٨) انظر : د. مصطفى الخشاب : تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية لجنة البيان العربى بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٣ ص ١٧ .

هذا المكان، وليكن ما يخافه الناس من الأمير أنه يعدل في حكمه .
ارع القواعد المفروضة عليك (٩) .

إن صفة العدل كانت من أهم الأفكار التي تركز عليها الدولة
في مصر القديمة، لأن العدل كان من أهم صفات الملك الإله .

ولم يكن الوزراء يتمتعون بأى سلطة ذاتية أو استقلال شخصي
كما هو الحال في الدولة الإسلامية أو في العصر الحديث، إذ أنهم
كانوا عمالا للملك الفرعون . وإذا كان الوزراء مسئولين أمام الوزير
الأكبر، فإن الوزير الأكبر مسئول بدوره أمام الملك وحده وليس أمام
الشعب أو ممثليه من أهل الحل والعقد، كما هو الحال في الإسلام .
ويمثل العزل من المنصب جملة الجزاءات التي يمكن أن توقع على
الوزير في مصر الفرعونية .

وبخصوص مسئولية الوزراء الجنائية، فقد كانوا يخضعون
للمساءلة أمام محكمة خاصة يرأسها الملك نفسه، ويعاونه عدد من
القضاة من أبناء النبلاء الإقطاعيين وكل من يثبت إدانته تصدر

(٩) انظر : ول ديورانت : قصة الحضارة ترجمة محمد بدران، الطبعة الثالثة، الجزء
الثاني من المجلد الأول ١٩٦٣ ص ٩٣ .

المحكمة حكما عليه يتدرج من نزع الممتلكات إلى التجريد من اللقب أو الحرمان من شرف الدفن بالمقابر الملكية .

◆ الوزارة في الصين القديمة :

قام نظام الحكم في الصين القديمة على أساس أن الملك هو ابن السماء، وهو يستمد شريعة الحكم من قوة أجداده النبلاء الذين يقيمون في السماء ومعنى هذا أنه يحكم وفقا للحق الإلهي الذي يخوله سلطة مطلقة في الإشراف على شئون مملكته .

ويعاون الملك أو الإمبراطور في حكمه مجلسان هما :

١- مجلس الأعيان أو المجلس الكبير الذي يتألف من طبقة من الأمراء أو الأرستقراط (١٠) . وكبار الكتاب وقضاة المظالم ومندوبو الوزارات .

٢- مجلس الوزراء ويتكون من ستة أعضاء يختارون من صفوة رجال الدولة الحكماء وذلك بقدر عدد الوزارات وهي الشؤون المدنية والمالية والبلاط، والحرب، والعدل، والأشغال العامة (١١)

(١٠) انظر: الدكتور مصطفى الخشاب: تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية ص ٤٠، ٤١ .

(١١) انظر : وليم لاتجر : موسوعة تاريخ العالم، ترجمة د. مصطفى زبيدة، مكتبة

النهضة المصرية ١٩٦٢م ٩١٠/٣ .

وتتم محاسبة الوزراء أمام الإمبراطور، ومسئوليتهم أمامه هي مسؤولية فردية .

ولما كانت السعادة، عند كونفوشيوس حكيم الصين، هي غاية الإنسان وهدفه الأسمى، فقد عرف الحكومة الصالحة بأنها التي تكفل السعادة للشعب، وجعل من شروط الحكم توافر الخلق الصالح ورجاحة العقل في الحاكم وفي هذا يرى كونفوشيوس :

" أن الحاكم إذا استعان - لقيادة الشعب - بالفضيلة (بفضل السنة والقدوة الحسنة) وارتنك على العرف والعادات الصالحة التي يوقرها الشعب وتنزل بينه منزلة التقديس، فها هنا يرتبط الناس برباط معنوي مكنين لتقويم أنفسهم وإصلاح حالهم " (١٢) .

ويرى أن معظم الشرور وجميع المظالم سببها افتقار المجتمع الصيني لوجود الحكومة الصالحة التي تقوم على أكفاً عناصر الأمة علماً وخلقا .

وقد جعل كونفوشيوس مبدأ (العدل) ركيزة لتصرفات الحكومة حتى تحوز ثقة الشعب فيها . وبذل جهوداً كبيرة لإقناع الحكام بأن

(١٢) فؤاد محمد شبل : حكمة الصين، دار المعارف بمصر ٧٩/١.

الوزارة في الفكر السياسي

يملكوا ولا يحكموا، وأن يدعوا تصريف أمور الإدارة إلى الوزراء الذين يختارون لكفائتهم (١٣).

وكان يعتبر الوزير أعلى درجات المسؤولية الأدبية، وأن في مخادعة الوزير للحاكم، وعدم معارضته علنا إن اقتضى الأمر، ما يعجل بزوال الدولة وتدميرها .

والوزراء الصالحون، في نظره، هم الذين يعتمدون في حكمهم على القانون ومبادئ العقل الراجح السليم، ويتبعدون عن أهواء الأمراء ورغباتهم الشخصية ويرى أنه يجب عزل الوزير الذي يخرج عن حدود هذه السياسة الصالحة .

وقد شدد كونفوشيوس على اتخاذ التعليم أداة للتأثير في الشباب الذي يختار منه الوزراء في المستقبل، " وبفضله يتكون رأي عام واع يستطيع - بمرور الأيام - ممارسة الضغط على الحكام لتولية خيرة العناصر المراكز الحكومية ذات المسؤولية (١٤).

أما منشيوس (٣٧٢-٢٨٩ قبل الميلاد)، تلميذ كونفوشيوس وأعظم أساتذة الكونفوشيوسية بعد مؤسسها كونفوشيوس، فقد أكد

(١٣) المصدر السابق ٨٠/١ .

(١٤) المصدر السابق ٨١/١ .

سيادة الشعب، ونادى بأن هدف الحكم هو تحقيق منفعة الشعب .
"فالشعب عنده أهم عامل من عوامل قيام الدولة ووجودها، تفوق
أهميته الأرض والإنتاج بما لا يقاس . . ويأتى الحاكم فى آخر
القائمة المتضمنة عوامل قيام الدولة " (١٥) .

ويرى أن مبرر وجود الإقطاعيين وكبار الموظفين هو
مقدرتهم على خدمة الفلاحين والظفر بتأييدهم، ويفقد الحاكم السند
الذى يجعل منه حاكما إذا أخفق فى نيل تأييد الفلاحين له، ويستحيل
بالتالى إلى مجرد فرد عادى كبقية الناس .

وفى إمكان الوزراء، فيما يرى ذلك منشيوس، كبح جماح
الحاكم الضال وإصلاح أحواله، وطالبهم بالاستقالة إن لم يتقبل الملك
نصائحهم ويستمع إليها ويعمل بها، بل أمرهم بالثورة عليه ونزع
عن العرش .

ويجب أن تكون العلاقات بين الحاكم ووزرائه علاقات تبادلية
وفى هذا يقول :

" إذا ما نظر الحاكم إلى وزرائه كما لو كانوا يديه وقدميه،
وجب أن ينظروا إليه على اعتبار أنه معدتهم وقلوبهم، فإذا اعتبرهم

الوزارة في الفكر السياسي

كلابا وخيولا، وجب أن ينظروا إليه كرجل عادي - فإذا نظر إليهم على أنهم وسخ وكلاء، وجب أن يعتبروه لصا وعدوا " (١٦) .

الوزارة في اليونان القديمة :

اعتبرت المدن اليونانية القديمة صورة مصغرة للدولة الحديثة بوصفها شخصا مستقلا عن أشخاص الحكام الذين بيدهم السلطة السياسية (١٧) وقد تكونت الهيئة الحاكمة فيها من جمعية شعبية عامة ومجلس وقضاء .

وقد شملت الجمعية العامة كل أفراد الشعب الذين بلغوا سن العشرين . ومن واجبات هذه الجمعية مباشرة شئون الحكم، ومراقبة كل موظفي الدولة، الذين كانوا مسئولين أمامها مسئولية كاملة (١٨) .

وكانت عضوية هذه الجمعية بالانتخاب لمدة قصيرة .

أما المجلس، فكان عدد أعضائه خمسمائة يختارون من بين

(١٦) المصدر السابق ١١١/١ .

(١٧) انظر : د. ثروت بدوي : النظم السياسية، الجزء الأول، النظرية العامة للنظم السياسية، دار النهضة العربية بمصر، ١٩٧٠، ص ٢٤ .

(١٨) انظر : د. إبراهيم دسوقي أباطة، د. عبد العزيز غنام : تاريخ الفكر السياسي، دار النجاح ببيروت ١٩٧٣، ص ١٦ .

الأقسام المائة التي تتكون من مجموعها المدينة، وتتركز في أيديهم أعمال الحكومة ونظرا لكثرة عدد أعضاء المجلس، طبق نظام التناوب في الوظائف عن طريق تشكيل لجان تضم كل منها خمسين عضوا للقيام بأعمال المجلس لمدة ٣٥ يوما، وكان يرأس كل مجموعة رئيس بالتناوب يتم اختياره بالقرعة من بين الخمسين لتكون مدة رئاسته يوما واحدا في حياته .

ومن مهام المجلس حل المشاكل الرئيسية، كما كان المجلس عبارة عن السلطة التنفيذية للحكومة، إذ كان من حقه مراقبة كبار المسؤولين وجميع الهيئات العاملة، ومراجعة النواحي المالية ومراقبة القوة البحرية .

أما مجلس القضاء (السلطة القضائية)، ففسد انحصار عمل القضاء في مراقبة كبار الموظفين وتنفيذ القانون، والفصل في القضايا المدنية والجنائية .

ومراقبة القضاء لكبار الموظفين والحكام، ضمانا لنزاهة الحكم يتم بطرق متعددة هي :

١- خضوع المرشح لاختبار دقيق وفحص موقفه وسلوكه قبلما يلسى منصبه .

الوزارة في الفكر السياسي

٢- بعد انتهاء تولى الحاكم منصبه، تستعرض أعماله وتدرس إنجازاته والمآخذ التي تحسب عليه .

٣- مراجعة ثروته قبل تولى المنصب وبعد تركه (١٩).

ومن أقدم المناصب التي وجدت في المجتمع اليوناني القديم مناصب الملك، ورئيس الحرب، ورئيس الحكومة (الأركون)، وقد تعدد منصب الأركون حتى وصل إلى تسعة رؤساء، بعد أن كان في البدء أركونا واحداً، وكان أصحابه يملكون حق القضاء المطلق في كل ما يعرض عليهم من أمور المجتمع .

الوزارة عند الرومان :

غلب الطابع العملي على الفكر الروماني، وأهملت روما العلم السياسي تماماً . ولم يبدع الرومان شيئاً ذا بال في مجال العلوم السياسية، بل اعتمدوا على التوفيق بين نظريات متعارضة أو أجزاء مقتبسة عن مفكرين مختلفين . وأغناهم تراث اليونان الفلسفي عن الإنشاء والإبداع في هذا الميدان .

أما عن السلطة التنفيذية فقد تولى إدارة الحكومة كونتات وكان

(١٩) فؤاد محمد شبل : الفكر السياسي، ص ٨٩ .

ذلك في عهد شارلمان (حوالي ٨٠٠م) الذي جمع السلطة كلها في يده ويساعده في أداء مهامه هؤلاء الكونتات . وفي عام ٨٠٢ أدخل نظام المبعوثين الملكيين (أسقف وكونت) لحسن مراقبة الإدارات المالية والقضائية والدينية وشكلوا، بذلك حلقة جوهرية بين الحكومة المحلية والحكومة المركزية (٢٠) .

ومع ذلك، أبدع شيشرون (١٠٦-٤٣ ق.م) المفكر السياسي الروماني، فكرة التفرقة بين الدولة والحكومة، فمنشأ المجتمع الإنساني عنده ليس ضعف الإنسان وعدم قدرته على القيام وحده بكل ما تتطلبه حياته اقتصاديا، بل لأن الإنسان اجتماعي بطبيعته، مدني بغريزته، لا يستطيع أن يعيش في عزلة عن بقية أفراد جنسه، وعلى ذلك فكل شعب عبارة عن اجتماع لعدد من الأفراد، وكل دولة عبارة عن تنظيم للشعب، وكل جمهورية عبارة عن شيء يخص الشعب، والدولة بهذا هي مجتمع من الأفراد قبلوا المعيشة معا تحت قوانين واحد، وهي ملك لهم هي وقوانينها، والسلطة السياسية، بالتالي هي سلطة الشعب وتمارس الحكومة هذه السلطة نيابة عن الشعب، بصفته وكيله عنه .

(٢٠) انظر وليم لانجر : موسوعة تاريخ العالم، ترجمة د. مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧، الجزء الثاني ص ٤٠٢-٤٠٣ .

وتكون ممارسة الحكام لتلك السلطة استنادا إلى القانون، ذلك القانون الذي سبق أن اتفق عليه الشعب والحاكم، وصار كعقد حكومي بينهما (٢١) .

فإذا عدنا إلى أيام الإمبراطورية التي أقامها اكتافيوس (الإمبراطور أغسطس، ٢٧ ق.م)، فنلاحظ أنه عندما اتسعت الولايات التي كان يحكمها، بحيث أصبح غير قادر على حكمها وإدارتها، أناب عنه ممثلين شخصيين Legati لإدارتها وتولي أمورها .

وأصبح السناتو (مجلس الشيوخ الروماني) في عصره مركز الإدارة، إذ تخرج منه الرجال المحنكين سياسيا، الذين أمكن عن طريقهم ملء كافة الوظائف التي تمثل دولا العمل الحكومي، مثل الإشراف على الأشغال والمرافق العامة والتموين مثل بناء المعابد والمحاريب والحمامات وقنوات المياه والطرق والكبارى وتحديد أسعار المواد التموينية في الأسواق واعتماد الموازين والمعايير

(٢١) انظر : د. بطرس بطرس غالي، د. محمود خيرى عيسى : مبادئ العلوم السياسية ص ٦٥ وما بعدها .

الوزارة في الفكر السياسي

والإشراف على قطاع الأمن والنظام وخفر المدينة وكذلك
المهرجانات والتجهيزات الجنائزية الرسمية *.

لقد كان رجال السناتو Senatus في حقيقة الأمر، هم ثمرة
الخبرات الطويلة للسياسة الرومانية، وأن لا غنى عنهم، ويمكن
اعتبارهم، في هذا العهد، بمثابة القناة الموصلة لقرارات الإمبراطور
للجهات المختصة .

❁ انظر : د. سيد أحمد علي الناصري : تساريخ الإمبراطورية الرومانية السياسية
والحضارية، دار النهضة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٥ ص ٣٥-٣٦ وانظر
د. سيد رجب السيد : المسئولية الوزارية في النظام السياسي الإسلامي، القاهرة .

❖ نشأة الوزارة في الإسلام

يعد القرآن منبعاً لأصول الفلسفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يقوم عليها المجتمع المتكامل المسلم، فالإسلام، وكما يؤكد ذلك الأستاذ (شاخنت) في دائرة معارف العلوم الاجتماعية، ليس مجرد دين، بل إنه نظام فكري متكامل يشمل الدين والدولة جميعاً . وقد شجع الإسلام على إقامة الدولة وحض عليها لحراسة الدين وسياسة الدنيا، كما حض على إقامة الوزارة كولاية شرعية أساسها القرآن الكريم ﴿ وَاجْعَلْ لِي وِزيراً مِنْ أَهْلِي . هَارُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ (٢٢) .

ومعنى هذا أن الوزارة، كما توضحها هذه الآيات البينات، نوعان : وزارة مشاركة في مباشرة الحكم، ووزارة مشورة لتنفيذ بعض الأعمال والمهام . وقد تطورت هذه الوزارة بنوعيتها لتصبح بعد ذلك ومع مرور الأيام وزارة التفويض ووزارة التنفيذ .

وتتجلى عظمة القرآن في تركه التفاصيل والجزئيات دون إشارة إليها، حتى تستطيع الأمة المسلمة أن تصوغ دقائقها وفقاً للظروف والأحوال المحيطة بها في كل زمان ومكان . وتتميز

الأصول التي احتوى عليها الإسلام بالوضوح والعالمية والاعتداد
بالإنسان حيثما كان . في الوقت الذي نجد فيه أن الحضارة الغربية
بشقيها الرأسمالي والماركسي تفتقد البعد الإنساني .

يقول أبو بكر بن العربي، وهو بصدد الحديث عن وزارتي
المشورة والمشاركة، إن الوزارة كما وردت في القرآن الكريم في
سورة طه على لسان موسى عليه السلام في الآيات الكريمة من ٢٩ إلى ٣٢
هي على دربين :

إما على وزارة مشورة، وإما على وزارة مشاركة (٢٣) .

فلو سكت موسى عند آيات « **وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي** .
هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي » لكانت وزارة مشورة .

لكنه تأدب مع أخيه لسنه وفضله وحلمه وصبره فقال :
« **وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي** » أي سأل وزارة مشاركة في أصل النبوة .

يضاف إلى ذلك أن الله تعالى قد أكرم هارون عليه السلام ووهبه
النبوة رحمة بأخيه موسى عليه السلام . ولذا كانت وزارة المشاركة في
أصل النبوة وفي تفسير أمور قومهما . ووزارة المشاركة هذه كانت

(٢٣) أبو بكر بن العربي : أحكام القرآن، القسم الرابع، ط. ثانية، ١٩٦٨، ص ١٦٣٠

الوزارة في الفكر السياسي

من نبي (هارون عليه السلام) لأخيه النبي والرسول (موسى عليه السلام) في نطاق ما يراه ويأمر به سيدنا موسى كمستول عن الرسالة . وهي هبة من الله واستجابة لطلبه، بعد السنة الأولى، وهي فوزه بالنجاة بأمر الله من فرعون وقومه .

هذه هي الوزارة الإسلامية التي ذكرها الله تعالى في قرآنه الحكيم لنسترشد بها في أمور حياتنا . وإذا أثير سؤال حول هذه الوزارة الإسلامية وأنها نزلت في شرع من قبلنا، فإن الإجابة أن الإسلام قد أتى ليكمل الديانات السابقة عليه، وأن أصل الأديان واحد، وإن اختلفت في تفاصيل الأحكام ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً . . . ﴾ (٢٤) إن وصايا التوراة هي وصايا الإنجيل ووصايا القرآن جمعتهم وزادت عليهما ما شاء الله من وصايا الذكر الحكيم (٢٥) .

وقد تميزت الوزارة في العهد النبوي بكونها وزارة مششورة، وليس وزارة مشاركة لأنه عليه السلام كان آخر الأنبياء المرسلين ولم يكن في زمنه ولا بعده من نبي ولا رسول، خلافاً لما كان عليه الحال في

(٢٤) المائدة : ٤٨

(٢٥) د. محمد عبد الله دراز : في الدين والأخلاق والقومية ط. القاهرة، ١٩٦٥، ص ٦٧

عهد رسالة موسى عليه السلام إذ من الله عليه بأخيه هارون نبيا، مشاركة له في أصل النبوة وتسيير أمور قومه، وهو ما لم يحدث في عهد رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، إذ جمع في يده جميع السلطات، يضاف إلى ما تقدم أن وزارة المشاركة في عهد رسالة موسى كانت تتطلب أن يكون كل من المستوزر والمستوزر من نفس الدرجة على الأقل وهو ما لم يتحقق في زمان رسالة سيدنا محمد آخر الأنبياء والمرسلين . إن هذا يؤكد أن الوزارة في العهد النبوي لم تكن وزارة مشاركة بل كانت وزارة مشورة .

و قد عرفت كلمة " وزير " عند العرب قبل الفتوحات الإسلامية، إذ أن من المسلم به تاريخيا أن منصب الوزارة في عهد ذاته أقدم من الإسلام - كما سبق وأشرنا من قبل - فقد ورد في القرآن على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي . هَارُونَ أَخِي ﴾ (٢٦) .

فلما جاء الإسلام أقر المنصب، ووضع له شروطا خاصة تميزها بما يؤكد أن هذا المنصب كان موجودا منذ صدر الإسلام، ولم يعرفه المسلمون عن طريق الفرس، كما يحلو لبعض الباحثين أن

الوزارة في الفكر السياسي

يقول بفارسية المنصب، وأن الفكرة واللفظ والشخص ومهام المنصب أخذت من فارس في العهد العباسي الأول (٢٧) .

وقد ظهر الوزراء في الدولة الإسلامية منذ نشأتها، إذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يستشير أصحابه ويتخذ منهم وزراء، ويخص منهم - فيمن يستشير ويستورز - أبا بكر وعمر وعثمان وعلى . وكان العرب - فيما يرى ابن خلدون في مقدمته، طبعه على وافي الأولسي ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م ج ٢ ص ٦٠٤، ٦٠٥ - يصفون أبا بكر بأنه وزير الرسول، كما كان يوصف به أيضا عمر بالنسبة إلى الخليفة أبي بكر، كما كان يوصف بهذا الوصف على وعثمان بالنسبة إلى الخليفة عمر . ومعنى هذا أن كبار الصحابة

(٢٧) انظر فيمن يقول بهذا : د. حسن إبراهيم حسن، وعلى إبراهيم حسن : النظم الإسلامية طبعة القاهرة ١٩٣٩ ص ١٤٤ . د. أحمد شلبي : كتاب = السياسة والاقتصاد في التفكير الإسلامي ص ١٢٣ وما بعدها، والدكتور عبد الحميد متولى : مبادئ نظام الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة دار المعارف بمصر ط. أولى ص ٦٢٧ . ومن الواضح أن هؤلاء الباحثين قد تأثروا في قولهم بفارسية منصب الوزير بأقوال قدامى كتاب النظم من المسلمين مثل ابن خلكان في مصنفه (وفيات الأعيان) والماوردي في مؤلفه (الأحكام السلطانية)، وابن طباطبا في مصنفه (الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية) وعبد الحى الكتانى في مصنفه (التراتب الإدارية أو نظام الحكومة النبوية) .

كانوا يقومون لدى الرسول مقام الوزراء في إطار الرأي والمشورة في أمور الجهاد ومواجهة الأعداء وتخير منازل الحرب .

وعنه ﷺ قال في استحباب اتخاذ الوزير الصالح : " إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق، أن نسي ذكره، وإن ذكره أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء، أن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه " وقال " إن لي في السماء وزيرين وفي الأرض وزيرين : فاللذان في السماء جبريل وميكائيل، واللذان في الأرض أبو بكر وعمر " (٢٨) . وروى عنه علي أبي طالب ؑ أنه قال عليه الصلاة والسلام : " إنه لم يكن نبي إلا أعطى سبعة نجباء (وزراء) رفقاء، وإنني أعطيت أربعة عشر " . وقال أيضاً، عليه الصلاة والسلام : ما من رجل من المسلمين أعظم أجراً من وزير صالح مع إمام يطيعه ويأمره بذات الله تعالى .

إن الرسول ﷺ كان طيلة حياته مرجع المسلمين في تدبير شئونهم العامة من تشريع وقضاء وتنفيذ، جامعاً بهذا بين السلطات ومرجعها الوحيد، مما جعل المسلمين يطيعونه في تنفيذ ما أمر به الدين الجديد وتتطابه شريعة الإسلام .

(٢٨) ابن العربي : أحكام القرآن، القسم الرابع، ط. ثانية، ١٩٦٨، ص ١٦٣٠.

الوزارة في الفكر السياسي

إن سلطة الرسول لم تكن سلطة روحية فقط، بل كان حاكماً يجمع في يده بين السلطتين الزمنية والروحية وإن كانت حكومته تبدو دينية في ظاهرها تعتمد على قوة إيمان المسلمين الأول، الذين أدركوا زمان الوحي، وشرفوا بصحبة صاحبه الذي لا ينطق عن الهوى .

وقد اعتمد الرسول على جهاز سياسي وإداري، عكس قيام الدولة العربية الأولى في المدينة المنورة، يعاونه فيما ألقى عليه من مهام الحكم الكبيرة وفي مقدمته الوزارة بمعناها العملى .

وما من مرة استخدم ~~الكتاب~~ كلمة " وزير " في أحاديثه التى تتعرض لمشاكل الهيئة الحاكمة، إلا وكان يعنى الشخص الذى يؤازر رئيس الدولة أعباء مسئولياته الجسام (٢٩).

وكانت الشروط والقواعد التى وضعها الرسول عليه الصلاة والسلام لاختيار العاملين فى هذا الجهاز السياسى والإدارى كافية لنظام دولة قوية سليمة البناء، ووافية لتنظيم سياسى قابل للتطور وفقاً لاحتياجات كل عصر (٣٠)، لأنه لما كثرت المستظلون بلسواء

(٢٩) انظر : محمد أسد : منهاج الإسلام فى الحكم، ترجمة منصور محمد ماضى طبعة ١٩٥٧ ص ١١٧ .

(٣٠) انظر : محمد بخيت المطيعى : حقيقة الإسلام وأصول الحكم ص ٢٤٢ .

الإسلام أراد ﷺ أن يضبط أمورهم بنظمات سنّها، وولايات نصبها، وعمالات أسسها . تلك النظمات التي لا يستقيم ملك لملك، ولا أمر لأمة بدونها، إنه كان يستضاء في المسجد النبوي بالعلوم والمعارف وتنظيم الوظائف وإيجاب الإخاء وتقدير الرجال، وتنظيم القوى الدفاعية وأسس وجوب ذلك، وقرر أصول الحقوق الدولية والحقوق المالية، وأوجب أصول الحروب والهدنة والمسالمة والمعاهدة وغيرها من الوظائف والأعمال الإدارية والاقتصادية والمالية، وكل ما يلزم لوجود الأمة على أمثل نظام (٣١) .

إن مدة حكمه عليه الصلاة والسلام مع قصرها لم تخل عن أعمالها هذه الوظائف المتعلقة بالمراتب الإدارية من الوزارة بأنواعها، والكتابة بأنواعها، والرسائل والقطاعات، وإدارة هذه العمالات . وتجد أنها كانت مسندة للأكفاء من أصحابه وأعوانه ﷺ .

وبذلك لذلك أن ثلث الشريعة الإسلامية عبادات، وأسرار تلك العبادات تتضمن سعادة بدنك وحياة روحك، زيادة على إخلاص

(٣١) انظر : د. مصطفى كمال وصفى : النظام الدستوري في الإسلام مقارناً بالنظم المعاصرة، مكتبة وهبة، طبعة أولى ص ٧٠، ٦٩ .

العمل لوجه الله . وبقية الثلثين معاملات دنيوية وكيفية الأخذ منها (٣٢).

وبعد وفاة الرسول كان خلفاؤه رضي الله عنهم يشرفون على كل شئون الدولة بأنفسهم مستعينين بوزراء وعمال في جميع أمور الدولة وبخاصة الإدارية منها . وبهذا كان الوزير يساعد الخليفة على تنفيذ سياسة الدولة العامة وينوب عنه في الحكم، ويشاركه الرأي، وتحمل المسؤولية، وقد استقر منصب الوزير بعد أن تمهدت قواعده وتقررت قوانينه على رأس مناصب الدولة منذ عهد الخلافة العباسية وفيما تلى ذلك من عهود كتقليد أصيل من تقاليد الحكم الإسلامي .

بهذا يتضح لنا أن مدلول السلطة التنفيذية في الإسلام لا يقتصر على رئيس الدولة فحسب بل يمتد ليشمل أيضاً جميع المتعاونين معه من مستشارين وعمال ووزراء وموظفين يعملون في خدمته . بمعنى آخر أن السلطة التنفيذية تضم إلى جانب رئيس الدولة الأعلى، جميع القائمين بالوظائف العامة، ما عدا رجال السلطتين التشريعية (الفقهاء والعلماء المجتهدين) والقضائية (القضاة) .

(٣٢) انظر : عيد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية المسمى القرائيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت ص ٩، ١٣، ١٦ .

ويعنى هذا أن منصب الوزارة قد جاء فى الإسلام نظراً لصعوبة قيام الإمام بجميع شئون الأمة الدينية منها أو الدنيوية، ومن هنا كان لابد من الإنابة : أى لا بد للإمام من أعوان وعمال يعينونه، كما يعهد إليهم بتأدية الوظائف المتعددة التى أقيمت الدولة من أجل أن تؤدي، فمنصب الوزارة، إذن، لتأدية الوظائف المختلفة، والمشاركة فى رأى بالنسبة لرئيس الدولة، وهذا ما يعنيه الماوردى بقوله :

" لأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة، ونيابة الوزير المشارك له فى التدبير أصح فى تنفيذ الأمور من تفرده بها ليستظهر به على نفسه، وبها يكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل " (٣٣).

وكلمة استنابة التى تحدث عنها الماوردى " لأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة " يقابلها ويؤدى معناها فى اللغة الإنجليزية Delegation of authority ويؤكد الماوردى ذلك فى مخطوطته " نصيحة الملوك " بقوله :

" إن الأعمال لا تستطاع إلا بالوزراء والأعوان . "

(٣٣) الماوردى : الأحكام السلطانية، تصحيح محمد بدر الدين النعمانى الحلبسى، ط. الخانجي بالقاهرة، ط. أولى ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م، ص ١٨ .

الوزارة في الفكر السياسي

ويقول ابن خلدون في ضرورة استعانة الحاكم بوزراء وأعوان لحمل أعباء الحكومة والمشاركة في تحمل مسئولية الحكم^(٣٤).

" اعلم أن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمراً ثقیلاً، فلا بد له من الاستعانة بأبناء جنسه، وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنة، فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه الله من خلقه وما تعمهم به البلوى في معاشهم ومعاملاتهم من نقد المعاش والمكاييل والموازن حذراً من التطفيف وإلى النظر في السكة بحفظ النقود التي يتعاملون بها من الغش وإلى سياستهم بما يريده منهم من الانقياد له والرضاء بمقاصده منهم وانفراده بالمجد دونهم " .

ويجمع على القول بضرورة الاستعانة، بأن ينبى الإمام عنه أعواناً ووزراء وعمالاً يعهد إليهم بتأدية الوظائف العديدة كالدفء وجمع الضرائب والإشراف على ديوان الرسائل وتعيين العمال كثير من العلماء نخص منهم بالذكر (الجوينى) و(الشعالى) و(ابن أبى الربيع) و(أبو سالم الوزير)، إذ أن الحاكم أو الإمام لن يصل إلى ما يريد من أحكام التدبير وضبط الأمور إلا بحسن معونة الوزراء

(٣٤) ابن خلدون : المقدمة، تحقيق وتعليق على عبد الواحد واقى، لجنة الببسان العربى بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٦م ٧٧١/٢ .

والأعوان التي تجرى على أيديهم الأعمال، وهذا هو نفس ما يقرره " ابن أبي الربيع " حيث يقول :

" لابد لمن تقلد الخلافة والملك من وزير على نظم الأمور ومعين على حوادث الدهور يكشف له صواب التدبير " (٣٥) .

ويشارك بالرأي في ضرورة الاستئابة إمام الحرمين (الجويني) فيقول :

" وليس من الممكن أن يتعاطى الإمام مهمات المسلمين في الخطة وقد اتسعت أكنافها، وانتشرت أطرافها ولا تجد بداً من أن يستنيب في أحكامها " (٣٦) .

إن قدر الإمام أو الحاكم يعلو وذكره يحسن بالوزير الصالح العادل الكفء الحكيم، والنبى عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وفصاحته وعظم درجته، أمره الله تعالى بمشاورة أصحابه العقلاء فقال تعالى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ .

(٣٥) ابن أبي الربيع : سلوك المالك في تدبير الممالك، طبع حجر ١٢٨٦م — ص ١٢٢ .
وانظر أيضاً : الجويني : غياث الأمم في التياث الظلم، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٣٥٥١ ب ص والشعالبي : تحفة الوزراء، مخطوط بدار الكتب المصرية ٥ نحوش ج ٢ ص ١٢ .

(٣٦) الجويني : غياث الأمم ص ٧٦ .

من هنا احتلت الوزارة، كولاية عامة، مكانة هامة في الدولة، وأنت في الترتيب بعد منصب الإمامة، كولاية ثانية عامة بل هي تساويه في الوجهة العملية، لأن الإمام محمل بمسئوليات ضخام تقتضى أعمالا كثيرة، ولا يستطيع أن يقوم بهذه الأعمال بدون انتداب ومشاركة، واعتبرها ابن خلدون " أهم الخطط السلطانية، والرتب الملوكية لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة " (٣٧) .

ويحلو لبعض كتاب الغرب ومفكره، في هذا المقام، الزعم بفارسية أصل الوزارة، والتي هي من أكمل نظم الدولة الإسلامية نموذجية (٣٨) .

ففي دائرة المعارف الإسلامية، وتحت كلمة (وزير) يسلم (فرانز بوبنجر) Franz Bubinger جدلا، بأن كلا من التسمية والنظام قد استعير أساسا من الإمبراطورية الفارسية الساسانية .

ويلتزم (آرثر كريستensen) Arthur Christensen في كتابه

(٣٧) ابن خلدون : المقدمة ٧٧١/٢ .

(٣٨) انظر في هذا : د. جواتيان : دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق الدكتور عطية القوصي وكالة المطبوعات بالكويت ١٩٨٠ ص ٧٩-٨٢ .

L'Iran Sous les Sassanides الذي صدر سنة ١٩٣٦ بالرأى الذي سبق أن أورده منذ ثلاثين عاماً في كتابه :

L'Empire des Sassanides, p.33 من أن (وظيفة الوزير منقولة نقلاً مباشراً عن الدولة الساسانية) (٣٩) .

ولكنه حين تحدث عن وصف وظيفة " فوزورج فرانا دهاو " الساسانية، وهي الوظيفة التي زعم أنها النموذج الأصلي لوظيفة الوزارة، لوحظ نقص مادته عنها حتى أنه استعان في وصفها بمسألة الماوردي عن الوزارة، وهو فقيه ومشرع مسلم عاش في القرن العاشر الميلادي .

ويقول فيليب حتي، ببساطة، عن الوزير إنه " . . . موظف وظيفته أصلها فارسي " (٤٠) .

(٣٩) إن قائمة الكتب التي تمسكت بهذا الرأي كثيرة لا تحصى وأخص بالذكر كتاباً تخصص لمعالجة هذا الأمر وهو كتاب :

Harlod Bowen : The Life and Times of Ali Ibn Isa . Good Vizier , Cambridge, 1928 .

يقول بوون (Bowen) في ص ١٤ من كتابه هذا : " إن كلمة وزير هي من أصل فارسي، أدخلها العباسيون إلى دولتهم، وكان العباسيون قد نهجوا في بلاطهم نهج الساسانيين بقدر إمكانهم " .

(40) History of the Arabs (2nd edition) 1940, p. 318.

وفي حقيقة الأمر، فإن المصادر لم تقدم لنا ما يؤيد حقيقة افتراض اقتباس هذا النظام . وليست هذه النظرية سوى تعميم مجرّد بني على حقيقة مؤداها أن كثيرا من الفرس، وعلى رأسهم البرامكة المشهورين، قد تولوا منصب الوزارة في الحكومة العباسية، وأن الكتب والأقوال التي وضعت عن فن إدارة شؤون الدولة الساسانية قد أثرت على وجه العموم وبعمق شديد، في الكتاب المسلمين .

ولكن كيف لنا أن نفسر أن عددا كبيرا من الوزراء لم يكونوا من أصل فارسي، وأنهم عرب الجنس، علاوة على ذلك، فإن البرامكة لم يكونوا أول الوزراء في الإسلام . فقد سبق أن اتخذ النبي ﷺ الوزراء من رجاله وصحابته وفي مقدمتهم أبا بكر وعمر وعثمان وعلى (رضوان الله عليهم أجمعين) . وكذلك فعل الخلفاء الراشدون من بعده في اتخاذ وزراء وعامل لتسيير أمور الدولة .

وفوق كل ذلك فلقد كان أجداد البرامكة بوزنيين، ولم يكونوا مجوسا (زرادشتيين)، وتبعاً لذلك فلم تكن لهم أي صلة بالإدارة الساسانية التي كانت متعصبة للمجوسية، وبالتالي فلم تكن الوزارة فارسية خالصة أو مقصورة عليهم .

إننا لسنا في حاجة لأن نتحقق من الأصل الفارسي المزعوم

لكلمة وزير . فقد عالج الأستاذ (سبرنجلنج) M. Sprengling من شيكاغو هذه المسألة في فصل من مقالته "من الفارسية إلى العربية" (٤١).

وجاء استنتاجه، بعد مناقشته الجذور الفارسية التي من الممكن أن تكون قد اشتقت منها كلمة وزير، على أن ليس لنا أن نستطيع إحراز الوضوح الدقيق لهذا الأمر، خاصة إذا علمنا أن كلمة (وزير) البهلوية تعني "مستند قانوني" أو "قرار"، دون أن تفيد معنى الوظيفة أو المرتبة أو الرجل .

إن كلمة "وزير" هي في حقيقتها كلمة عربية . ويؤيد المستشرق الهولندي الشهير De Goeje هذا الرأي من أن أصل الكلمة عربي واستشهد على ذلك بأمثلة كثيرة وردت في كتب عربية كتاريخ الأمم والملوك للطبري وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبيسة، وطبقات ابن سعد .

(41) American Journal of semitic language and literatures, 56(1939), pp. 331-336, quoting Noeldeke, 444.

Batthdomae, Sitzungs berichte der Skademie der Wissenschaften, 1920, V. 18, pp 39 sq. and at hers.

وعليها أن نتذكر أن كلمتا (أخا ووزيرا) قد تجاوزتا في القرآن والشعر آخر عهد الأمويين .

فقد وردت كلمة " وزير " بأصلها العربي . في القرآن بمعنى "المساعد" و "المعاون" (٤٢) .

وكذلك وجدت هذه الكلمة بوفرة في الأشعار المعاصرة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام . فقد وردت على لسان شعراء الإسلام الذين دافعوا عنه من أمثال شاعر الرسول حسان بن ثابت (ابن هشام- ج ١٩ ص ٦٢٩) وكعب بن مالك (نفسه ج ٤ ص ٦٥٩) وعبد الله بن مرداس (نفسه، ج ١٦، ص ٨٦٠) .

كما شاع استعمال كلمة " وزير " في العصر الأموي، وعلى سبيل المثال تقول الشاعرة هند بنت زيد في زياد والي معاوية على العراق " له من شر أمته وزير " وتقصد بذلك معاوية، وتعني أن له مساعدا هو من شرار خلق الله، بينما نجد شاعرا آخر هو حارثة بن بدر يقول مخاطبا نفس الرجل (زياد بن أبيه) .

(٤٢) انظر : الآيات الكريمة من ٢٩ إلى ٣٢ من سورة طه .

ألا من مبلغ عن زياداً

فنعم أخو الخليفة والأمير

فأنت إمام معدلة وقصد

وحزم حين تحضرك الأمور

أخوك خليفة الله بن حرب

وأنت وزيره نعم الوزير (٤٣)

وكذلك عرف العرب الوزارة ففى ممالك العرب قبل الإسلام، وفى هذا يقول المسعودى (التنبيه والإشراف ص ٢٩٤) :
إن العرب كانت تسمى وزير الملك من ملوك اليمن والشام والحيرة : الراهن والزعيم والكافى والكامل، تريد بذلك أنه مرتهن بالتدبير، زعيم بصواب الرأى، كاف للملك مهمات الأمور، كامل الفضائل .

وكما نرى، فإن الزعم بالأصل الفارسى للوزارة بعيد كل البعد عن الحقيقة الثابتة التى توضح عروبة الكلمة والمنصب والمهام.

(٤٣) الطبرى : تاريخ الرسل، طبعة القاهرة ١٩٦٣ ص ٥ ج ٢٣، ٢٤ .

♦ التطور التاريخي لمنصب الوزارة في الإسلام :

ظهرت الوزارة مبكراً في العهد النبوي ترجمة لفحوى الآية الكريمة ﴿ وَاجْعَلْ لِي وِزيراً مِنْ أَهْلِي . هَارُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ . وقد استعان النبي بعدد من رجاله وصحابته قاموا فعلاً بأعمال الوزراء، من أهمهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وكان النبي ﷺ يشاورهم في أمور الدولة العامة والخاصة .

وظل عمل الوزير يتمثل في الاستشارة بعد انتقال الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى . إذ ظهر لفظ الوزارة، في يوم سقيفة بني ساعدة، بما يتضمن من معاني أخذ الرأي والاستشارة حين اجتمع المهاجرون والأنصار للتشاور في أمر الخلافة، فقال الأنصار للمهاجرين : الإمامة فينا وفيكم، منا أمير ومنكم أمير . وقالت قريش : نحن عشيرة رسول الله، والإمامة فسي قريش دون غيرهم ونحن أمراء وأنتم الوزراء (٤٤).

كما وجدت الوزارة بصفة فعلية أثناء الخلافة الصحيحة للخلفاء الراشدين، فقد كان لكل منهم وزراء ومستشارون ناصحون . ففسي

(٤٤) البلاذري : أنساب الأشراف ١/ ٥٨٠ .

خلافة أبي بكر تولى عمر بن الخطاب القضاء، وتوزيع الزكاة على مستحقيها بأمر الخليفة، كما ولى ابن الجراح بيت المال قبل أن يسيره أبو بكر إلى الشام .

وكذلك كان شأن عثمان وعلى مع الخليفة عمر، فإنه كثيراً ما كان يستعين بهما في أمور الدولة الدقيقة وأعمال الرعية . فقد قام على بكتابة الرسائل والنظر في شئون أسرى المسلمين . كما استعان الخليفة عمر بعثمان واستعان برأيه في بعض الأمور ذات الطابع القبلي لمعرفته بأحوال القبائل وأنسابها (٤٥) .

وقد كان الخلفاء الراشدون، إلى جانب اتخاذهم الوزراء من صحابة النبي، يستعينون في إدارة شئون الدولة بمجلس من الشيوخ يتألف من كبار الصحابة وأعيان المدينة ورؤساء القبائل، وكانوا يجتمعون في مسجد المدينة، ولا يقطعون أمرا دون استشارتهم، وبذلك كان نظام الحكم في ذلك العهد نظاماً جمهورياً ديمقراطياً (٤٦) .

وفي عهد بني أمية استحالَت الخلافة إلى ملك وراثي يقوم

(٤٥) انظر : د. صبحي الصالح : النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٥ ص ٢٩٥ .

(٤٦) انظر : د. حسن إبراهيم حسن، د. على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ص ١٤٥ وما بعدها .

الوزارة في الفكر السياسي

على السياسة والدهاء . وقد اتسعت المملكة في عهدهم، وأصبح لزاماً على الخلفاء أن يستشيروا بعض ذوي الرأي ليكونوا لهم وزراء يقدمون لهم العون والنصيحة، ويتحملوا بعض أعباء المملكة . وقد عرف الوزير في هذا العهد باسم " الكاتب " أو " المشير "، وكمثل على ذلك " عبد الحميد الكاتب "، الذي كان كالوزير لمروان بن محمد. ولا يستثنى من هذا إلا زياد بن أبيه الذي لقب بالوزير في عهد معاوية بن أبي سفيان . ثم شاع بعد ذلك لفظ الوزير في عهدهم. يدل على هذا ما يذكره المسعودي^(٤٧) من أن بعض شيوخ بني أمية سئلوا بعد زوال ملكهم عن السبب في ذلك فقالوا : إننا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا فظلمنا رعيتنا، فئسوا من إنصافنا، ووثقنا بوزرائنا، فأثروا مرافقهم على منافعنا، وأمضوا أمورنا دوننا، أخفوا علمها عنا .

ولما جاءت الدولة العباسية تحددت معالم الوزارة ونقررت قوانينها وعظم شأن الوزير وجمع في شخصه بين جميع شئون الحكم من مدنية وعسكرية مثل تنصيب العمال والإشراف على جمع الضرائب وعلى ديوان الرسائل، والقيام على موارد الدولة ومصروفاتها .

(٤٧) مروج الذهب، ط. دار التحرير ١٢٨/٢١ .

وظهرت في خلافة بني العباس وزارة التنفيذ ثم وزارة التفويض، كما شهدت الدولة العباسية نظام تعدد الوزراء وبلغت الوزارة الذروة في هذا العهد، فصار اسم الوزير، كما يقول ابن خلدون في مقدمته الفصل ٣٤، جامعاً لخطتي السيف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة حتى لقد دعى جعفر بن يحيى (البرمكي) بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدولة .

وقد أصبحت الكتابة سبيلاً للوزارة في ذلك العهد، واشترط في الوزير أن يكون كاتباً بليغاً، يساعده أعوان كثيرون يأتي في مقدمتهم الكتاب .

ويشير ابن طباطبا صاحب كتاب (الفخرى) إلى أهمية منصب الوزير وتاريخ مركزه فيقول (٤٨) : " الوزير وسيط بين الملك ورعيته فيجب أن يكون في طبعة شطر يناسب طباع الملوك، وشطر يناسب طباع العوام، ليعامل كلا الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة، والأمانة والصدق رأس ماله . قيل : إذا خان السفير بطل

(٤٨) ابن طباطبا : كتاب الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٧هـ ص ١٣٥-١٣٦ .

الوزارة في الفكر السياسي

التدبير . وقيل : ليس لكذوب رأى، والكفاءة والشهامة من مهماته، والفطنة، والنيقظ، والدهاء والحزم من ضرورياته، ولا يستغنى أن يكون مفضلاً مطعماً، ليستميل بذلك الأعناق، وليكون مشكوراً بكل لسان . والرفق والأناة والتنشيت في الأمور والحلم والوقار والتمكن ونفاذ القول مما لا بد منه .

والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في دولة بنى العباس، فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد، ولا مقررة القوانين، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية، فإذا حدث أمر استشار ذوى الحجا والآراء الصائبة، فكل منهم يجرى مجرى الوزير . فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة، وسمى الوزير وزيراً، وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً .

أما عن الوزارة في مصر فقد ظهرت في عصر الفاطميين وتولاها أرباب الأقاليم من العلماء والفقهاء . فإذا ما أتى عصر المستنصر (٤٢٧-٤٨٧م) استحدثت وزارة السيف، وأسند المنصب إلى أمير الجيوش بدر الجمالي الذي أصبح يتمتع بالسلطة المطلقة، وقبض في يده خراج الدولة الفاطمية.

◆ الاشتقاق اللغوي لكلمة الوزارة ومعناها :

تعنى كلمة (وزير) المساعد، والمعاون، والمؤازر، وحامل الأعباء . وأصل مادة الوزارة (وزر). والوزر (بكسر الواو وإسكان الزاى) الحمل والنقل. يقال وزر، يزر فهو وزر، إذا حمل ما يتنقل ظهره من الأشياء. ومنه الحديث: قد وضعت الحرب أوزارها، أى انقضت أمرها، وخفت أثقالها فلم يتبق قتال.

والوزير كما جاء فى القاموس ولسان العرب حبساً للملك، الذى يحمل ثقله ويعينه برأيه وتدبيره (٤٩).

واسم الوزارة يدل على مطلق الإعانة، والوزارة مكان الوزير، وهو المتحدث للملك فى أمر مملكته (٥٠).

والوزراء جمع وزير وهو الذى يلتجئ الأمير إلى رأيه وتدبيره، فهو ملجأ له ومفزع.

وقد روى فى اسم الوزارة ومعناها ثلاثة أوجه:

(٤٩) الحبا: جليس الملك وخاصته. انظر: ابن منظور: لسان العرب. ط. صادر، بيروت ٤٣٧/١٩.

(٥٠) القلقشندي: صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، ط. دار الكتب المصرية ٤٤٨/٥.

١- أنها مشتقة من الوزر (بكسر الواو) وهو الثقل، لأن الوزير يحمل عن الملك أو الخليفة أثقاله. ومنه قوله تعالى: "ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم" (٥١) أى أثقالا من أمتعتهم وحليهم.

٢- أو أنها مأخوذة من الوزر (بفتح الواو والزاي) وهو الملجأ، ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَلَّا لَا وَزَرَ﴾ (٥٢) أى لا ملجأ، فسمى بذلك لأن الملك أو الإمام يلجأ إليه مستعيناً برأيه ومشورته.

٣- والثالث أنها مأخوذة من الأزر وهو الظهر، لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر (٥٣).

وقيل أيضاً إن الوزير مشتق من الإعانة، لأن الوزير يعين الملك على ما هو بصدد من أعباء السياسة. وقد ورد عن الرسول قوله: "إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه".

(٥١) طه: ٨٧.

(٥٢) القيامة: ١١.

(٥٣) انظر: الماوردي: الأحكام السلطانية ص ٢٠ وكذلك ابن خلدون: المقدمة، الفصل

٣٤ في مراتب الملك.

وقد خضع لقب " وزير " بدءاً بالخلافة العباسية ووفقاً لتطور نظام الدولة الإسلامية لأسماء ومسميات كثيرة منها : الأخ في الله، والسلطان، وسيف الإسلام، وصفى أمير المؤمنين وخالصته . والصاحب وتاج الرئاسة، وتاج الوزراء، والعادل، وشرف الأنعام، والكامل، وكافى الدولة، وقوام الدولة، والمشير، ونجيب الدولة... الخ (٥٤) .

(٥٤) انظر : د. حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والأشعار، طبعة ١٩٧٥م ص ٥٩ .

❖ نوعا الوزارة

تنقسم الوزارات إلى نوعين : وزارة التفويض، ووزارة التنفيذ وهذا ناتج أصلاً من تفرقة الفقهاء المسلمين بين نوعين من الإنابة : الأولى إنابة (التفويض)، والثانية إنابة (التنفيذ)، فعمال التفويض ولاية، وعمال التنفيذ نياب . ذلك أن التفويض ولاية لا تمنح إلا بعقد أما التنفيذ فمجرد انتداب، ولا يحتاج إلى تقليد، بل يكفي فيه الإذن .

وزارة التفويض : معناها تفويض شئون الخلافة إلى وزير يتولى تدبير أمور الدولة وتصريف شئونها دون الرجوع إلى الخليفة .
أى أن الخليفة يملك ولا يحكم Régner Sans Gouverner .

ويسمىها (الشعالبى) الوزارة المطلقة، وهى عنده أكمل الولايات وأتمها، لاشتغالها على النظر فى أمور المملكة، وهى لا تحتل الشركة لأنها وزارة تامة عامة، فالشركة تنقصها . وفى هذه الحالة لا يتبقى للخليفة إلا ولاية العهد، وعزل من يوليهم الوزير .

أما وزارة التنفيذ : فمعناها أن الوزير ينفذ أوامر الخليفة، ولا يتصرف فى شئون الدولة من تلقاء نفسه، بل يعرض عليه أمور الدولة وينتقى أوامره فيها . وكما يقول (الشعالبى) أنها وزارة مقيدة خاصة،

تحتل الاشتراك، " إذ لا تنقص ولا يتغير نظامها بذلك" (٥٥) إن دور الوزير في هذه الوزارة لا يتعدى دور الوساطة بين الخليفة والرعية .

وزارة التفويض، إذن، أكثر عملا وعمومية، بحيث يملك الوزير مزاوله جميع سلطات الخليفة، الذي يملك ولا يحكم، كما أن له أن يتصرف وفق علمه ورأيه واجتهاده، دون أن يرجع في ذلك إلى الخليفة . وقد كان هذا حال الوزير البرمكي يحيى بن خالد، وولده جعفر بن يحيى في عهد الخليفة هارون الرشيد .

أما وزارة التنفيذ فحكمها أضعف، وهي أكثر خصوصية، لأن الوزير فيها تقتصر مهمته على مجرد تنفيذ أوامر الخليفة الذي يشرف على جميع تصرفاته، دون أن يكون من حقه أن يبرم أمرا من الأمور وفق رأيه واجتهاده .

◆ وزارة التفويض :

تتميز وزارة التفويض بالأهمية العظمى، والسلطة الاستقلالية، وتحتل رتبة أعلى من مرتبة وزارة التنفيذ .

وتجمع وزارة التفويض بين كفايتي السيف والقلم أي السلطتين

العسكرية والمدنية، وقد جعل السيف تحت القلم، كما روى عنه عليه الصلاة والسلام، وهي أعظم نظرا وأنفذ أمرا . وهذه الوزارة هي استيلاء على التدبير والعقد والحل والتقليد والعزل .

وقد سميت وزارة التفويض بوزارة السيف، حيث يتولاها رجال الحرب، أرباب السيوف ممن لديهم خبرة كاملة بتدبير الجيوش وتنظيمها - وهذا يكون في بعض الأوقات التي تستلزمها ظروف الدولة . ومن هنا كان من غير الممكن أن يتولاها غير المسلم، لسيطرتها على شئون الأمة الإسلامية الإدارية والحربية والدينية .

ولكن من ناحية أخرى تعتبر الصفة المميزة لهذه الوزارة كونها وزارة قلم، يتولاها الرجل العليم بأسرار الحكم، الخبير بالسياسة المتقن لفنها، المتقن ثقافة واسعة .

ويعتبر الماوردي خير مترجم لمعنى الحديث النبوي الشريف الذي يقول : " خلق الله الدنيا للسيف والقلم، وجعل السيف تحت القلم" (٥٦) فالقلم هنا أو العقل هو خير مشخص لأعراض المجتمع، وواصف لأفضل الحلول الخاصة بعلاجها .

(٥٦) انظر : الماوردي : قوانين الوزارة، من تحقيقنا، مكتبة نهضة الشرق بالقاهرة

١٩٨٦ ص ٥٢ .

ومن هنا كانت وزارة التفويض، التي هي في الأصل وزارة قلم هي أفضل شكل من أشكال الحكومات التي يستعين رجالها بالمبادئ العقلية لعلاج مشاكل واقعهم السياسي، والحكم على الأحداث وتنظيمها . فعندما تنتاب الدولة الأسقام والأمسراض، تأتي وزارة التفويض، ويحمل وزير التفويض فيها نفسه مهمة الطبيب من حيث التشخيص ووصف العلاج .

هذا الذي أشار إليه الرسول الكريم منذ ما يقرب من خمسة عشر قرناً بضرورة سيطرة العقل وهيمنته على القوة (السيف) متوجاً إياه على مقعد القوة، هو ما سوف ينشغل ببحثه بعد ذلك بقرون وقرون الفلاسفة السياسيون محاولين الإجابة فيه عن كيفية توافق القوة مع المعقولية في المجتمعات . فإذا كانت السياسة في أكثر معانيها انتشاراً هي علم القوة وتنظيمها في المجتمعات (٥٧) . فإن الفلسفة هي تنظيم مستمر لعملية العقل، واكتشاف المبادئ المنظمة للتطبيق العلمي من خلال الدولة التي تعتبر أداة يمكن لها تحقيق هذا التوفيق بين القوة والعقل في المجتمع . وقد يحدث أن تنجح الدولة في

(٥٧) انظر : Duverger : Introduction a la politique, Paris, N.R.1964.

الوزارة في الفكر السياسي

إخضاع القوة للعقل، وقد تهدف إلى أن يكون مثلها الأعلى هو نتويج العقل على مقعد القوة، ولكن يحدث في الغالب أن تفشل في ذلك^(٥٨).

وقد تولى إسماعيل بسن بلبل وزير المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ-٨٧٠-٨٩٢م) منصب وزير التفويض (رئيس الوزراء الآن)، وجمع في يده السيف والقلم أي السلطتين المدنية والعسكرية .

وقد رفض الوزير الشهير (نظام الملك) (١٠١٨-١٠٩٢م) الاعتراف بنظرية الوزارة بالتفويض المطلق، والجمع بين السلطتين العسكرية والمدنية، وأن يملك وزير التفويض سلطات غير مقيدة^(٥٩) ومعنى هذا أن الوزير نظام الملك يرفض الاعتراف بأي شكل من أشكال الحكم العسكري الديكتاتوري .

❑ اختصاصات وزير التفويض :

وتعرف وزارة التفويض بأنها هي : " أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده"^(٦٠) فوزير

(٥٨) انظر : د. أميرة حلمي مطر : في فلسفة السياسة، ط. دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٧٥، ص ٥ .

(٥٩) انظر : س.د. جواتيائن : دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ص ١٠٦ .

(٦٠) الماوردي : الأحكام السلطانية، ص ١٨ .

التفويض هنا يقوم مقام الإمام، وهو ليس واسطة مثل وزير التنفيذ، ذلك أن وزارة التفويض هي وزارة عامة تامة . وولاية وزير التفويض عامة في كل الأمور وكافة الأعمال . وله أن ينظر في المظالم ويستنيب فيها، ويجوز أن يتولى الجهاد بنفسه، وأن يقلد من يتولاه . ويجوز أن يباشر تنفيذ الأمور التي دبرها، وأن يستنيب في تنفيذها، لأن شروط الرأي والتدبير فيه معتبرة . كما أن له الحق في التصرف في أموال بيت المال بما فيه صالح المسلمين . فالقاعدة العامة هي " أن كل ما صح من الإمام صح من الوزير " .

ومعنى هذا أن لوزير التفويض أن يمارس صلاحيات الإمام ماعدا ثلاثة أشياء :

أحدهما : أن للإمام أن يعهد إلى من يرى، وليس ذلك للوزير .

الثاني : أن للإمام أن يستعفى الأمة من الإمامة (أى أن يعلن للناس استقالته)، وليس ذلك الوزير .

والثالث : أن للإمام أن يعزل من قلده الوزير، وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام إلا بإذن خاص منه .

ونظرا لأهمية وزارة التفويض، والدور الكبير الذى تلعبه فى

حياة الفرد والمجتمع، والصلاحيات المخولة إلى وزير التفويض، فقد حدد الفقهاء ضوابط معينة تحول بين وزير التفويض وبين التسلط على أمور الدولة أو الاستبداد وإلغاء سلطة الإمام أو تعطيلها كلية فقالوا : إنه يجب على وزير التفويض الرجوع إلى الإمام، وإحاطته علما بما قام به حتى يكون الإمام على علم بما أمضاه من تدبير وأنفذه من ولاية وتقليد، كما أنه يجب على الإمام أن يتصفح تصرفات الوزير وتديره الأمور، ليقر منها ما وافق الصواب، ويلغى ما كان مخالفا للشريعة " لأن تدبير الأمة إليه موكول، وعلى اجتهاده محمول " (٦١) .

وولاية التفويض، كولاية عامة تامة، لا تصح إلا بعقد وصيغة وتولية صحيحة لها من الإمام، ولا يكفي لها مجرد الإذن . والإمام حين يعقد عقد التفويض فإنما يعقده بالنيابة عن الأمة لا عن نفسه . وبالتالي فإن سلطة وزارة التفويض التي تُمنح بمقتضى هذا العقد تكون سلطة استقلالية، وكل المقلدين للمناصب بعقود التفويض، ومنها وزارة التفويض، يققون من الإمام على قدم المساواة . والذي يشترط في صيغة التولية لوزارة التفويض شرطان :

(٦١) المصدر السابق، ص ٢٠ .

الأول : أن تشتمل على عموم النظر .

الثاني : على النيابة .

فإذا اقتصر على عموم النظر دون النيابة، أو العكس لم تتعقد بذلك الوزارة . ومثال صيغة التولية القانونية أن يقول الإمام : (قد قلدتك مالي، نيابة عني) أو أن يقول : (قد فوضنا إليك الوزارة) . أما إن قال مثلاً (انظر فيما إلى) - فقط أو قال : (قد قلدتك وزارتي أو الوزارة) فإن وزارة التفويض لا تتعقد بهذه الصيغة^(٦٢).

إن وزارة التفويض يجب أن تشتمل ألفاظها على عموم النظر والنيابة معاً، لأنها عقد بين الإمام والوزير المفوض .

❑ شروط وزير التفويض :

اشتراط المفكرون المسلمون في وزير التفويض عدة شروط هي نفسها شروط الإمامة فيما عدا النسب القرشي الذي يعنى الشوكة والعصبية وقد أصبح هذا الشرط غير ذي بال منذ وقت طويل . وهذه الشروط هي:

(٦٢) المصدر السابق، ص ١٩ .

الوزارة في الفكر السياسي

الإسلام والعدالة، والعلم، والكفاءة، والكفاية الجسمية والنفسية، والأمانة، والصدق، والشهامة .

ثم هناك شرط زائد لوزارة التفويض على شروط الإمامة، وهو أن يكون المرشح من أهل الكفاية والمعرفة والدراية بتفاصيل الشؤون الحربية والإدارية .

وما هذا التشدد في اشتراط هذه الشروط إلا لعلم الفقهاء بأن صلاح السلطان وتقدم الدولة إنما يكون بصلاح الوزير الذي يجمع في يده زمام الحل والعقد والقبول والرد والنهي والأمر والإثبات ومن هنا كان القول الحكيم (لا تسأل عن السلطان وسل عن وزيره) .

وشبيه بهذا ما يذهب إليه (مكيافللي) صاحب كتاب الأمير الذي يقول : " انتخاب وزراء الأمير أمر ذو صعوبة كبرى، فإما يكون الوزراء صالحين لعملهم وإما غير ذلك . وأول حكم يصدره الناظر على عقل الأمير ينبيه على صفات الرجال الذين حوله، فإن كانوا أكفاء وأمناء ثبت عقل الأمير وحكمته، وإن كانوا عكس ذلك كان الضد، لأن أول خطأ ارتكبه هو اختياره السيئ (٦٣) .

(٦٣) مكيافللي : كتاب الأمير، ترجمة محمد لطفي جمعة، ص. دار المعارف بمصر

لذلك اشترط (الطرطوشي) في كتابه (سراج الملوك) : أن يكون الوزير مكن الرحمة والخلق، وأن يكون نقي الجيب لا يقبل دقية، وأن يكون معتدلاً . وموقع الوزير من الملك هو موقع الملك من العامة . وكما أن السلطان إذا صلح صلحت الرعية، وإذا فسد فسدوا، كذلك الوزراء إذا فسدوا فسد الملك، وإذا صلحوا صلح الملك^(٦٤).

□ تعدد الوزارة :

والتعدد في وزارة التفويض غير جائز، حيث يقوم الوزير مقام الإمام . وإذا كان التعدد غير جائز في هذه الوزارة، فإنه يجوز في وزارة التنفيذ . كما أنه يجوز للإمام أن يقلد وزيرين : وزير تفويض، ووزير تنفيذ، ليكون وزير التفويض مطلق التصرف، ووزير التنفيذ مقصورة مهمته على تنفيذ ما وردت به أوامر الإمام . فالتعدد جائز في وزراء التنفيذ، وغير جائز في وزراء التفويض .

◆ وزارة التنفيذ :

ووزارة التنفيذ هي وزارة أكثر خصوصية من وزارة

(٦٤) انظر : الطرطوشي (أبو بكر محمد بن الوليد) : سراج الملوك طبعة عام ١٢٨٩، ص ٧١-٧٢ .

الوزارة في الفكر السياسي

التفويض لقصورها عما اشتملت عليه وزارة التفويض . فهي بهذا أقل أهمية إذ يكون الوزير فيها وسيطا فقط بين الإمام ورعايله . ولا يتمتع الوزير في هذه الوزارة بالاستقلال الذاتي ويعوزه السراى والاجتهاد، لأن النظر فيها مقصور على رأى الإمام وتدبيره . ويجوز له أن يشارك الإمام فى الرأى، وهذا ما يجعله خليقا باسم الوزارة، وإن لم يكن له أن يستقل بذلك، فإن لم تجعل له المشاركة فى الرأى، كان منصبه أشبه بالوساطة أو السفارة (٦٥) . والسفارة تكون بين الإمام ورعيته أو بينه وبين عماله كما تشمل السفارة أيضا اختيار الموظفين والمسؤولين، واستيفاء حقوق الدولة . ويشترط فى السفير الكفاءة، وجودة الحدس، والاختيار وقلة الاغترار .

تقتصر مهمة وزير التنفيذ، إذن، على تنفيذ ما يأمر به الإمام فقط نظرا لانعدام تمتعه بالاستقلال الذاتى . وهو يحتاج دائما إلى مشورته ومراجعته فى أكثر الأمور والحوادث . فالرأى والاجتهاد يبقى للإمام . ومهام وزير التنفيذ أن يبلغ ويباشر تنفيذ ما يرد إليه من أوامر، ويمضى ما يصدر عن الإمام من أحكام، لأنه يعتبر بمثابة وسيط بين الرعايا والولاة، كما سلف القول، وهو غير مستقل بذلك.

(٦٥) انظر : الماوردى : الأحكام السلطانية : ٢١ .

ومعنى هذا أنه ليس له حق الولاية المحضة، أى حق التقليد، أو تعيين أحد استئنافاً .

ومن اختصاصات وزير التنفيذ، أيضاً، أو وزير (التقييد) كما يسميه "الشعالي" ت ٤٢٩ هـ، أن يتصفح أحوال العمال الذين يعملون فى دواوين الدولة وإداراتها الخاصة . وعليه أن يصغى إلى ظلمات الرعية فيمضى ما تيسر له .

ومن اختصاصاته، أيضاً، أن يمد الإمام برأيه ومشورته، وأن يكون له عينا ناظرة، وأذنا سامعة، يخبره بما رأى وسمع عن صدق ويقين " لأنه سوهم بالملك، وميز بالاختصاص وندب للمصالح، فلزم أن يتخصص بمصالح الملك، فيقوم مقامه فى مشاهدة ما غاب وسماع ما بعد ليقدمه على من سواه " (٦٦).

ومن اختصاصات وزير التنفيذ، أيضاً، أن يوضح للإمام حقائق الأمور فى الدولة، ويساوى فيها بين الصغير والكبير .

وأن يفتدى راحة الإمام بتعبه، وبقي دعتة بنصبه .

ويوضح " الشعالي " وظائف وزير التنفيذ، أو وزير التقييد كما

(٦٦) الماوردى : قوانين الوزارة، ص ٩٨ .

الوزارة في الفكر السياسي

يسميه، بأنه ينظر في جميع الدواوين ويستعرض أعمالهم، ويقوم معوجهم، ويصلح فاسدهم، ولا يعزل الولاة، ولا يصرف من كان على رءوس الدواوين والأعمال الجليلة إلا بأمر الملك، لأنه كالواسطة بين الملك والرعية . ولهذا قيل إن هذا الوزير لا يحتاج إلى ولاية تقليد لأنه مأمور في كل قضية (٦٧).

ويكفي في تعيين وزير التنفيذ مجرد إذن من الإمام أو صاحب السلطان، فإن التعيين فيها لا يحتاج إلى عقد، وصيغة خاصة، لأنه مأمور في كل أمر وقضية .

□ شروط وزير التنفيذ :

إزاء هذه المهام والاختصاصات لا يشترط في المتولى لهذه الوزارة العلم بالأحكام الشرعية أو القدرة على الاجتهاد، لأن وزير التنفيذ ليس له أن يحكم ويصدر الأحكام أو يفضي برأيه . وكذلك لا تشترط الحرية، لأن وزير التنفيذ ليس له أن ينفرد بتولية أو تقليد . من هنا صارت شروط هذه الوزارة أقل من الشروط التي ينبغي توفرها في وزارة التفويض . وفي هذا يقول " الثعالبي " : " لا يعتبر في وزير التنفيذ (التقييد كما يسميه) ما يعتبر في الأول (وزير

(٦٧) أبو منصور الثعالبي : تحفة الوزراء ظهر ورقة ٩ .

التفويض) من العدالة والحرية والعلم، بل يعتبر فيه الأمانة والصدق، فإنه سفير بين الملك وأهل المملكة . . وينظر في أمر الرعية ويسمع شكاواهم ويرفع رقاعهم " (٦٨) .

فالشروط التي تشترط لوزير التنفيذ هي إذن ما يلي :

- ١- الأمانة، حتى لا يخون فيما قد أؤتمن عليه، ولا يغش فيما استنصح فيه .
- ٢- صدق اللهجة، حتى يوثق بخبره فيما يؤديه ويعمل على قوله فيما ينهيه .
- ٣- قلة الطمع . أو التعفف، حتى لا يقبل رشوة فيحابي .
- ٤- خلو قلبه من عداوة الناس، لأن العداوة تصد عن التناصف وتمنع من التعاطف .
- ٥- قوة الذاكرة وحضورها، حتى يحسن أن يؤدي إلى الخليفة وعنه.
- ٦- الذكاء والفتنة حتى لا تلتبس عليه الأمور .
- ٧- أن لا يكون من أهل الأهواء، فيخرجه الهوى من الحق إلى الباطل،

الوزارة في الفكر السياسي

فإن الهوى خادع الأبواب وصارف عن الصواب، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام : " حبك الشيء يعمى ويصم " (٦٩) .

٨- أن يكون مطبوعا على العدل، غير عسوف، بل رقيقا في معاملاته مع الآخرين .

٩- الحنكة والتجربة التي تؤدي إلى صحة الرأي وصواب التدبير .

وهذا الوصف يجب توافره في حالة ما إذا كان هذا الوزير مشاركا في الرأي، فإن لم يشارك لم يحتج إلى هذا الوصف .

ويجوز أن يتولى وزارة التنفيذ رجل من أهل الذمة أو بمعنى آخر من أهل الكتاب مسيحيا كان أم يهوديا، إذ أن الإسلام ليس شرطا لمن يتولى هذه الوزارة . وهذا بخلاف وزير التفويض الذي تتضمن ولايته أمور المسلمين وأمور الدفاع والمالية، ولا يجوز فسي مثل هذه المناصب أن يعهد بها إلى رجل ذمي .

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل دلالة قاطعة على تسامح

(٦٩) انظر : أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقى، القاهرة ١٩٦٦م، ص ٣١ . ود. محمد ضياء الدين الرئيس : النظريات السياسية الإسلامية، مكتبة دار التراث بالقاهرة الطبعة السابعة ١٩٧٩م . ص ٢٦٧، وانظر الماوردى : الأحكام ص ٢٢ .

الإسلام وسمو تعاليمه ونبل مبادئه . وبالمقابل إذا نظرنا إلى بعض الدول الأوروبية، لوحدناها حتى الآن تحرم أن يشغل منصب الوزارة فيها ويصل إليه من هو مخالف لهم في الدين، بل من يخالفهم في فرع من المذهب . فلا توافق الدول الأوروبية التي تدين بالمذهب البروتستانتي على تعيين من يدين بالمذهب الكاثوليكي في المناصب الهامة فيها، في حين أباح علماء الإسلام ومشرعوه منذ قرون عديدة، أن يلي الوزارة والمناصب الهامة في الدول الإسلامية رجل على غير الدين لا المذهب .

وضح لنا، إذن، أن هناك فروقا بين وزارتي التفويض والتنفيذ فبينهما فروق من جهة الشروط، وفروق أخرى من ناحية الاختصاص . وأن الفروق بينهما فيما يتعلق بالشروط المطلوبة في كل منهما، يرجع إلى الاختلاف في الاختصاصات :

فأما الفروق بين وزارتي التفويض والتنفيذ من جهة الشروط :

- ١- فالحرية معتبرة في وزارة التفويض وغير معتبرة في وزارة التنفيذ.
- ٢- والإسلام معتبر في وزارة التفويض، وغير معتبر في وزارة التنفيذ
- ٣- والعلم بالأحكام الشرعية (الاجتهاد) معتبر في وزارة التفويض، وغير معتبر في وزارة التنفيذ .

الوزارة في الفكر السياسي

٤- المعرفة بأمرى الحرب والخراج معتبرة فسى وزارة التفويض وغير معتبرة فى وزارة التنفيذ .

وأما من ناحية الاختصاص (حقوق النظر) :

١- فإنه يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر فى المظالم وليس ذلك لوزير التنفيذ .

٢- ويجوز لوزير التفويض أن يستبد بتقليد الولاية، وليس ذلك لوزير التنفيذ .

٣- يجوز لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش، وتدير الحروب، وليس ذلك لوزير التنفيذ .

٤- أنه يجوز لوزير التفويض أن يتصرف فى أموال بيت المال للمسلمين، وليس ذلك لوزير التنفيذ .

كما تختلف الوزارتان فى أصل التقليد والعزل من ستة أوجه :

١- يقلد الإمام وزير التفويض فى حقوقه وحقوق رعيته، حيث يقوم الوزير بتنفيذ الأمور حسب رأيه وعلمه واجتهاده . أما وزير التنفيذ فينفذها حسب أوامر الإمام دون أن يغير أو يبدل فيها .

٢- تحتاج وزارة التفويض لمباشرة أعمالها إلى عقد صحيح يصدر

لها من الإمام . أما وزارة التنفيذ فلا تحتاج إلى مثل هذا العقد، بل يكفي فيها إشارة البدء للقيام بتنفيذ ما يصدر عن الإمام .

٣- إن وزير التفويض يحاسب على ما أصدره من قرارات أما وزير التنفيذ، فإنه لا حساب عليه لأن مهمته قاصرة على تنفيذ ما أمر به الإمام .

٤- لا ينعزل وزير التفويض إلا بالقول الصريح من الإمام حيث تولى الأمور بعقد، أما وزير التنفيذ فينعزل بانصراف الإمام عنه وتركه بلا عمل .

٥- لا ينعزل وزير التفويض بمجرد كفه عن العمل وتركه الوزارة، إلا بعد صدور قرار صريح من الإمام بإعفائه من عمله، أما وزير التنفيذ فينعزل بمجرد ترك العمل وتقديم الاستقالة .

٦- تفتقر وزارة التفويض، كولاية عامة، إلى كفاية السيف والقلم، في حين لا تحتاج إليهما وزارة التنفيذ، لقصورها عنهما .

وقد كان أكثر وزراء الفرس وزراء تنفيذ، وأكثر وزراء الإسلام وزراء تفويض (٧٠).

❖ في الحقوق المشتركة بين الوزارتين :

- وبالرغم من كل ذلك، هناك أوجه للالتقاء بين الوزارتين هي:
- ١- أن يكون الوزير بأعباء الوزارة ناهضاً، ومقدماً للصالح العام على صالح نفسه .
 - ٢- أن يكون الوزير قادراً على الكد والتعب، وأن يصبر في السخط والرضا، وأن يتوصل إلى راحته بالكد والنصب .
 - ٣- أن يخلص الوزير نيته في طاعة الخليفة، ويكون سره كعلائقه.
 - ٤- أن يستوفي للإمام ولا يستوفي عليه، ويتأول له ولا يتأول عليه.
 - ٥- أن يراقب الوزير الله في السر والعلن .
 - ٦- أن يقدم حق الله على حق الإمام، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقد روى عن النبي، عليه الصلاة والسلام، أنه قال: " من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى " .
 - ٧- أن يكون الوزير خبيراً بأحوال الرعية، وأن يشرف على الأعمال

ويتابعها بنفسه، وعليه أن لا يكل إلى غيره ما يختص بمباشورته
للدعة وإثارة للراحة .

♦ الوزارة في القديم والحديث :

بعد هذا الاستعراض لأحكام الوزارة وأنواعها، نود أن نرى مدى
التشابه والتطابق مع نظم الوزارة المعمول بها في الوقت الحاضر .

فنحن نجد أن منصب وزير التفويض يكاد ينطبق على منصب
"الوزير الأول" أو "رئيس الوزراء" كما تعرفه الأمم الحديثة الآن .

وأوضح الأدلة على ذلك أنه لا يجوز أن يتعدد . وهذا الوزير
مطلق التصرف، عام الولاية والنظر، وهو يقوم مقام رئيس الدولة،
إلا أنه مقيد، الآن في القيام بأعباء وظيفته، وفي أمور كثيرة برأى
مجلس الوزراء .

ويقول (هارولد لاسكي) في هذا الصدد :

"من البين أن نوعاً من الصدارة يختص به رئيس الوزراء
(أو الوزير الأول أو وزير التفويض كما يسميه الفقهاء المسلمون)،
فهو زعيم الحزب وزعيم المجلس التشريعي على السواء، وهو أكثر
من أي فرد سواه يختص بالمسؤولية . إن عليه أن يقود فريقاً، وأن

الوزارة في الفكر السياسي

يقنع زملاء متنافرين بالانسجام . إن أنجح الوزارات ما فتئت هي تلك التي مكن فيها لرئيس الوزراء أن يفرض إرادته على زملائه بسلطان لا يستطيع عضو سواه أن يدعيه لنفسه . . ونود أن نؤكد هنا أنه ليس معنى هذا أن رئيس الوزراء يحق له أن يتخطى زملاءه . . فإن ذلك يفضي إلى تركيز السلطة مما يعني دواماً أن القرارات تصدر عن جهالة " (٧١).

ويقول لاسكي أيضاً : الوزير الأول يشغل مركزاً ملحوظ السلطة بين أقرانه . . . وعليه أن يوالى الإطلاع على الخطوط العريضة للأحداث التي تجرى في شتى إدارات الدولة " (٧٢).

ونسجل هنا أن منصب رئيس الوزراء، أو نظام الوزراء هذا، لم يعرف في الأمم الغربية، ولم يهتد إلى فكرته رجال الفكر الدستوري في الغرب، إلا في القرن السابع عشر، ثم لم تحدد مهمته تماماً إلا بعد ذلك .

ففي بداية القرن السابع عشر بدأت تظهر في المؤلفات

(٧١) هارولد لاسكي : أصول السياسة، ترجمة محمود فتحى عمر وإبراهيم لطفي عمر،

مراجعة د. بطرس غالى، دار المعارف بالقاهرة ٨٨/٣ .

(٧٢) المصدر السابق : ٩٠/٣ .

الإنجليزية نعوت مختلفة تدل على وجود مركز ممتاز لأحد خدام الملك أو مستشاريه . فجاء مثلا في رواية إدوارد الثاني لمارلو Marlowe على لسان الملك " إننى أجعلك اللورد، كبير الأمناء، المستشار الرئيسى للدولة Chief Secretary of State ونقرأ فى إحدى عبارات شكسبير على لسان هنرى الثامن لوزيره وولسى Wolsey " ألم أجعلك رجل الدولة الأول " . وفى مؤلفات أخرى استعملت نعوت أخرى كوزير الدولة الأول

Prime Minister of State

First Minister of State

والوزير الأول Prime Minister^(٧٣) .

وفى بداية القرن الثامن عشر ابتداء استعمال لقب الوزير الأول يستقر فى المؤلفات المختلفة . ونعت به فعلا كلا من روشستر Rochester وسندرلاند Sunderland من وزراء جيمس الثانى، كما أطلق هذا اللقب أيضا على بعض مستشارى أسرة ستيوارت .

على أن الوزارة فى ذلك العهد القريب كانت تعتمد على نقسة

(٧٣) انظر : د. السيد صبرى : الوزير الأول فى إنجلترا، مكتبة وهبة بمصر ١٩٤٧، ص ٢ وما بعدها .

الوزارة في الفكر السياسي

الملك فهو وحده صاحب الحق في تعيين وعزل رجاله ومستشاريه . وعلى ذلك كان مركز رئيس الوزراء (أو الوزير الأول) غير واضح، كما أن حقوقه لم تكن معروفة ولا معينة . وكان أهم عمل له في ذلك العهد السعي للحصول على موافقة البرلمان على ما يريد الملك، المحرك الأول للحكومة (٧٤) .

ومن البدهي والأوضاع على هذا النحو ألا يكون هناك مجال لمنصب الوزير الأول، ما دام الملك هو الرئيس الفعلي للوزارة أو رئيس السلطة التنفيذية الأعلى .

ثم تطور منصب الوزير الأول للدولة (أو منصب رئيس الوزراء) شيئاً فشيئاً في عهد الملكة آن من ١٧٠٢-١٧١٤م . فعندما عينت الملكة روبرت هارلي Robert Harley وزيراً للخزانة لم يلبث أن أصبح مبعث النشاط الحكومي، إذ كان يشرف على جميع الأعمال الحكومية حتى أكثرها بعداً عن اختصاصه، كما كان يعالج المسائل الخارجية جميعاً (٧٥) .

ولم يكن من حق الوزير الأول في ذلك العهد أن يختار زملاءه

(٧٤) انظر : المصدر السابق ص ٥٤ .

(٧٥) انظر : المصدر السابق ص ١٣-١٤ .

ولا أن يعزلهم، وكان وصوله إلى منصبه هذا بحكم كونه موضع ثقة الملكة الشخصية . ومن هنا فقد هذا المنصب صفته الفعلية، ولم يعد له، في حقيقة الأمر، وجود من الناحية القانونية .

ثم استقر منصب رئيس الوزراء عندما تولى (والبول) Sir Robert Walpol منصب الوزير الأول من عام ١٧٢١-١٧٤٢م، وكان بهذا أول رئيس وزراء بالمعنى الحديث فسي تاريخ إنجلترا، لنجاحه في الحصول على ثقة كل من جورج الأول والثاني لمدة عشرين عاما، مارس في خلالها جميع السلطات التي لم يستحوذ عليها وزير أول من قبله . فكان من حقه أن يشرف على جميع أعمال الدولة، ويعين الوزراء من زملائه ويعزل كل معارض لسياسته، ويراقب اتجاهات الرأي العام ويعمل على تحقيقها بصرف النظر عن مقدار اتفاقها ووجهة نظره . وقد كان لهذا أثره في اعتراف زملائه به، الذين قبلوا اتباع وسائل ثابتة محددة لإدارة أمور الدولة، وأصبح هناك نظام متفق عليه تخضع له مصالح الحكومة (٧٦) .

أما عن وزير التنفيذ فإن مركزه يشابه مركز الوزير في

(٧٦) انظر : د. السيد صبرى : الوزير الأول في إنجلترا ص ١٦-٢٠ .

الوزارة في الفكر السياسي

النظام الأمريكي الرئاسي، حيث يعد بمثابة سكرتير لرئيس الدولة مهمته تنفيذ إرادة الرئيس وسياسته، وهذا بخلاف وزير التفويض الذي يشابه مركزه مركز زميله في النظام البرلماني حيث يشترك الوزير مع رئيس الدولة في الحكم، وحيث نجد أن الوزارة هي التي ترسم في الواقع سياسة الحكم .

وإذا كان من غير الجائز أن يتعدد وزراء التفويض، إذ يسرى على وزير التفويض ما يسرى على رئيس الدولة، فإنه يجوز، من ناحية أخرى، أن يتعدد وزراء التنفيذ من حيث إنهم ينفذون قرارات مجلس الوزراء ويمضون الأحكام . إن كل واحد من وزراء التنفيذ يختص بالنظر في ناحية خاصة محددة . فهذا للتعليم، وهذا للمالية، وهذا للزراعة وهذا للدفاع، وهكذا . وفي هذه الحالة فإنهم يسمعون " ولاء " على أعمال مختلفة .

حقيق علينا، إذن، أن نسجل لفقهاء الإسلام، المدى الذي وصل إليه تفكيرهم في المسائل الدستورية والنظم الإدارية، فقد توصلوا بفكرهم العميق ونظرهم الصائب إلى تصور منصب وزير التفويض، الكبير الأثر، وحدوده بأوصافه وشروطه، كما حددوا أيضا أوضاع وسلطات واختصاصات الوزراء الآخرين (وزراء التنفيذ)، وذلك قبل الأنظمة والساتير الحديثة بقرون عديدة .

❖ مسؤولية الوزارة

المسؤولية في الإسلام مسؤولية عامة شاملة، تشمل جميع المخلوقات العاقلة، دون تفرقة بين أمير ووزير وبين أي فرد من أفراد الرعية . وإذا عمدنا إلى الجانب الاشتقاقي وجدنا أن عبارة (كونه مسئولاً être responsable) تعني : " كون الفرد مكلفاً بأن يقوم ببعض الأشياء وبأن يقدم عنها حساباً إلى زيد من الناس " (٧٧).

وتتطلب المسؤولية في الإسلام التزام الإنسان القيام بعمل ما أو الامتناع عنه كما تتطلب فكرة الجزاء إما بالثواب أو بالعقاب .

ويوجد في الإسلام ثلاثة أنواع من المسؤولية : المسؤولية الدينية، والمسؤولية الاجتماعية، والمسؤولية الأخلاقية . ويشير إلى هذه المسؤوليات الثلاث قوله تعالى (٧٨) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٧٩) .

(٧٧) د. محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن، تعريب وتحقيق وتعليق دكتور عبد الصبور شاهين مؤسسة الرسالة بيروت ودار البحوث العلمية بـالكويت، الطبعة الرابعة، الكويت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ١٣٦.

(٧٨) انظر المصدر السابق ص ١٤١-١٦٣ .

(٧٩) الأنفال : ٢٧ .

وتتمايز المسؤوليات الثلاث بعضها عن البعض الآخر من حيث الصفات والشروط الخاصة .

فالمسئولية الدينية لا تظهر واضحة إلا يوم الدين، وجزاؤها يلمس النفس والجسم معاً بعقوبة رهيبية، أو جزاء حسن فى حياة النعيم الخالدة .

أما المسئولية الاجتماعية فلا تقوم إلا خلال آجال تتفاوت طولاً وقصراً، والجزاء المترتب عليها يلمس مباشرة أجسامنا، وأموالنا وحقوقنا المدنية .

وتتميز المسئولية الأخلاقية بأنها فورية وثابتة وجزاؤها نفسى. فمن أوقع أذى بالآخرين نال جزاءه من عذاب الجحيم وسخط المجتمع وتأنيب الضمير .

والمسئولية الأخلاقية، هى فى حقيقتها، مسئولية دينية . وفى هذا نجد أن القرآن الكريم لا يكتفى حين يستحث المؤمنين إلى الطاعة، بأن يذكرهم بالأمر الإلهى، بل يذكرهم فى الوقت نفسه، بالعهد السدى قطعوه على أنفسهم بأن يطيعوا هذا الأمر : « وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » (٨٠)، « إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا » (٨١)

(٨٠) الحديد : ٨ .

(٨١) المائدة : ٧ .

وتشترك المسئولية الأخلاقية مع المسئولية الدينية في شمول كل منهما للأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة (الخفية)، واستخدام الملكات والقدرات وكل مال طبيعي موروث أو مكتسب . يدل على هذا كله قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (٨٢) . ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٨٣) ، ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٨٤) .

كما وردت أحاديث نبوية توضح المعنى السابق، وأن كل فرد في مجاله مسئول عن حسن سير الأمور، العامة والخاصة، التي وكلت إليه، منها على سبيل المثال : " كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله

(٨٢) البقرة : ٢٨٤ .

(٨٣) الإسراء : ٣٦ .

(٨٤) الكهف : ٤٩ .

ومستول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومستولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومستول عن رعيته " (٨٥).
وقوله عليه الصلاة والسلام : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ؟ وعن عمله فيما عمل ؟ وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه " (٨٦).

أما عن شروط المسؤولية، فإننا نلاحظ تشابها بين شروط كل من المسؤولية الأخلاقية والدينية واختلافا عن المسؤولية الاجتماعية ويظهر هذا واضحا فيما يلي :

❖ شروط المسؤولية الأخلاقية والدينية :

١- الطابع الشخصي المحض للمسؤولية :

توضح النصوص القرآنية التالية، أن المسؤولية الفردية الأخلاقية والدينية هي مسؤولية شخصية محضة، وأن الثواب والعقاب، لا يمكن أن يتأتى فيهما أى تحويل، أو امتداد، أو اشتراك، أو التباس، حتى بين الآباء والأبناء . ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا

(٨٥) البخارى : كتاب الوصية - باب ٩ .

(٨٦) الترمذى : كتاب صفات القيامة - باب ١ .

كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٨٧).
 «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ» (٨٨) «لَا يَجْزِي وَالسِّدَّ
 عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا» (٨٩)، «الْيَوْمَ
 تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ» (٩٠)، «وَأَنْ لِّيُسْ
 لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» (٩١).

٢- العلم مسبقا بالأحكام موضوع المسؤولية :

يخبرنا القرآن الكريم أن أحد لن يحاسب على أفعاله دون أن
 يكون قد أعلم مسبقا بأحكامها وهو قول أهل السنة والجماعة ومنهم
 الأشعرية الذين أوضحوا أنه لا حكم لأفعال العقلاء المسؤولين قبل
 ورود الشرع وأن ثبوت الحكم يكون بالشرع لا بالعقل، والعقل غير
 موجب ولا محرم ويستفاد ذلك من قوله تعالى : «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ
 حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» (٩٢) . «لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ
 بَعْدَ الرُّسُلِ» (٩٣).

(٨٧) البقرة : ١٣٤ ، ١٤١ .

(٨٨) البقرة : ٢٨٦

(٨٩) لقمان : ٣٣ .

(٩٠) غافر : ١٧ .

(٩١) النجم : ٣٩ .

(٩٢) الإسراء : ١٥ .

(٩٣) النساء : ١٦٥ .

لقد أوجب سبحانه وتعالى على نفسه أن يعلم الناس قبل أن يحملهم مسئوليتهم، لأنه من الظلم تعذيب الناس الذين يغفلون عن واجباتهم لأنهم لم يعرفوها : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (٩٤) .

هذا في الوقت الذي ذهبت فيه بعض الفرق الإسلامية، كالمعتزلة إلى القول بأن المسئولية أمام الله تعالى شاملة، وأنها قائمة على أساس التكليف الفطري، وأن العقل، وليس الشرع، هو الحاكم الشرعي على أفعال العباد، فالشرع غير موجب ولا محرم عند المعتزلة، وبالتالي لم يشترطوا الإعلان الإلهي المسبق . ونحن نرى أن هذا الاتجاه يتعارض مع موقف سلف الأمة، ويتنافى مع روح الآيات القرآنية السابق الاستشهاد بها، " لأنه ليس يكفي أن يصوغ الشارع شرائع، ويكلف رسله بإبلاغها، بل يجب أن يصل هذا التعليم إلى الناس، وأن يكون هؤلاء الناس على علم به " .

فشرط قيام المسئولية، هو العلم المسبق بالشرائع، وعدم نسيان النسيان، ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا ﴾ (٩٥) .

(٩٤) القصص : ٥٩ .

(٩٥) البقرة ٢٨٦ .

٣- ارتكاب العمل الإرادي بالشروط الواردة في أحكام الشريعة:

يوجب القرآن أن يتوافق العمل الذي يأتيه الإنسان مع أحكام الشرع، ويتحول هذا العمل إلى حدث أي خطأ لا إرادي إذا انعدم وجود هذا الشرط: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (٩٦) ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (٩٧).

إن العمل المنوط بالمسئولية هو العمل الإرادي، أي العمل الذي يكون القصد إليه كاملاً، ويأتيه الإنسان طبقاً للصفات الطبيعية والأخلاقية لموضوعه على نحو ما أدركها المشرع.

٤- الحرية (٩٨) :

ونقرر هنا أن "حريتنا" شرط رابع في المسئولية. ومسئوليتنا عن كل عمل مقصود إرادي، هي أمر قطعي، ومن هنا "قانون الإرادة والحرية

(٩٦) الأحزاب: ٥.

(٩٧) البقرة: ٢٨٦.

(٩٨) انظر: الدكتور محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن، ص ١٨٠ وما بعدها.

ليست سوى شيء واحد"، كما قال بذلك (ديكارت) في (الإجابات على الاعتراضات الثالثة). فإرادتنا هي التي تحكم أو تمتنع، هي التي تثبت أو تتكرر. ومعنى هذا أن تدخل القوى الخارجية عن الإنسان، لا تنفي عنه المسؤولية إلا في حالة وجود قوة قاهرة لا قبل له بها.

♦ أما بالنسبة للمسئولية الاجتماعية :

تتطلب المسؤولية أمام الله، وأمام الناس، كما سبق القول، أن يكون العمل شخصياً، إرادياً، ثم أداؤه بحرية (أي بغير إكراه)، وأن نكون على وعى كامل، وعلى معرفة بالشرع أو القانون.

وتتميز المسؤولية الاجتماعية بكونها إصلاحية مدنية، أو جزائية عقابية. وتستلزم المسؤولية الجزائية، التي تشبه المسؤولية الأخلاقية والدينية، توافر عنصر القصد والنية، يضاف إلى ذلك حاجتها إلى التعبير المادى المتمثل في تصرف المتهم.

وإذا ارتكب الولاة، وفي مقدمتهم الوزراء، ما يوجب حداً كقذف محصنة أو شرب الخمر وجب إقامة الحد عليهم حتى ولو كان

الإمام نفسه، كما يقتص منهم إذا اعتدوا على بعض الأفراد بسلقتل أو قطع أطراف منهم أو ضربهم (٩٩).

كما يعاقب الولاة والحكام والوزراء على بعض الأفعال التي ارتكبوها، مثل خيانة الأمانة بصفة عامة أو الارتشاء أو الحكم بغير ما أنزل الله أو الاعتداء على الرعية، يعاقبون عليها تعزيراً وتكتيلاً وتأديباً بالعقوبة التي يقدرها ولي الأمر نظراً لعدم تقرير حد أو كفارة بشأنها (١٠٠).

وقد ورد أول تقرير رسمي للمسئولية، بصفة عامة، في الدولة الإسلامية بكتاب النبي (عليه الصلاة والسلام)، بين المهاجرين والأنصار واليهود بعد الهجرة إلى المدينة والذي يعد اللجنة الأولى في دستور الدولة، ونص على الآتي:

(٩٩) انظر: محمد أبو زهرة (الشيخ): قضاء المظالم في الإسلام بحث قدمه إلى الحلقة الدراسية الأولى للقانون والعلوم السياسية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية المعقودة في الفترة من ١٣-٢٧ أكتوبر بالقاهرة ١٩٦٠ ص ٣٥٨.

(١٠٠) انظر: عبد الوهاب خلاف (الشيخ): السياسة الشرعية أو نظام الحكومة الإسلامية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٧ ص ٩٣.

" لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن تدبر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ (١٠١).

وقد حرص الخلفاء الراشدون على تطبيق مبدأ المسؤولية مبتدئين بأنفسهم . فيقول أبو بكر الصديق أول الخلفاء، عندما ولى الخلافة : فإن أحسنت فأعينوني، وإن صدفت فقوموني . ويقول الخليفة عمر بن الخطاب بعد أن تولى الخلافة : من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه، فقال أعرابي : " والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا " (١٠٢) .

(١٠١) الدكتور محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار الإرشاد، بيروت، الطبعة الثالثة ص ٤٧ .

(١٠٢) انظر : عبد الله خلاف : السياسة الشرعية، ص ٢٨، و د. سيد رجيب السيد : المسؤولية الوزارية في النظام السياسي الإسلامي

❖ الأسس التي تقوم عليها المسؤولية في الإسلام (١٠٢)

تعددت أقوال العلماء والفقهاء حول الأسس التي تقوم عليها مسؤولية الحكام والولاة ومنهم الوزراء .

١- ذهب البعض إلى أن هذه المسؤولية من نتائج إحدى مبادئ نظام الحكم في الإسلام، وهي الشورى، خاصة في أمور السياسة والحرب فقد أوجب الإسلام الشورى على المسلمين في قوله تعالى : « وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ » (١٠٤) . « وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ » (١٠٥).

فكل شيء في الدولة الإسلامية بدءاً بتأسيس الهيئة التنفيذية وانتهاء بالأمور التشريعية والمسائل التنفيذية، لابد وأن يتم عن طريق الشورى، التي تعتبر أهم مبدأ من المبادئ التي تقوم عليها هذه الدولة.

(١٠٣) انظر في هذا : د. مصطفى أبو زيد : فن الحكم في الإسلام، القاهرة ١٩٨١ ص ١٧٠، ١٧١، وعبد الوهاب خلاف : السياسة الشرعية، وعلى على منصور : نظام الحكم والإدارة في الشريعة الإسلامية ص ٢٦٤، ٢٦٥، وأبو الأعلى المودودي : الخلافة والملك. ورافقت شفيق شنبور دستور الحكم والسلطة في القرآن والشرائع ص ٦٣ .

(١٠٤) الشورى : ٣٨ .

(١٠٥) آل عمران : ١٥٩ .

الوزارة في الفكر السياسي

ونظرا لأهمية الشورى، كمبدأ سياسى إسلامى، فإنها تتصدر المبادئ السياسية للإسلام . وإذا ترك الحاكم الشورى " كان للأمة أن تطالبه بها، وأن تبدى رأيها - ولو لم يطلب منها - فيما قد يكون لها فيه رأى " (١٠٦) . إن الشورى فوق أنها مبدأ جوهرى فى نظام الحكم الإسلامى، وقاعدة أولى له، فهى فضيلة إنسانية تعمل على احترام عقلية الإنسان، وتأكيد استقلاله، وتحقيق كرامته الفكرية، والقضاء على الاستبداد بالرأى، الذى يعد أكبر أعداء الإنسانية الفاضلة ومفسدها الأوحى .

٢- وذهب آخرون إلى أن المسئولية نتيجة لكون الحكم أمانة وواجب من أعظم واجبات الدين، ولا قيام للدين إلا بولاية أمر الناس من قبل حاكم أو إمام يستمد سلطانه من الأمة الممثلة فى أولى الحل والعقد، ويعتمد فى بقاء السلطان على ثقتهم به، ونظره فى مصالحهم وهو مسئول أمام الأمة وأمام الله . ومن هنا عد هذا الحكم من أكمل أنواع الحكومات حيث تستمد السلطة فيه، كما أشرنا، من الأمة، ويرجع إلى قوانين سياسية دينية وضعها الله نافعة فى الحياة الدنيا والآخرة .

(١٠٦) انظر : عبد القادر عودة : الإسلام وأوضاعنا السياسية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٧ ص ١٢٠-١٢١ .

وإذا كان الحاكم مسئولاً أمام الأمة، صاحبة السيادة بالنسبة إليه، فإنه مسئول أيضاً أمام الله، وهو ما تقرره الآيات البينات ومنها قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ (١٠٧) .

﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ (١٠٨) .

ومن الأحاديث النبوية التي تؤكد هذه المسئولية قوله عليه الصلاة والسلام : " ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت وهو غاش رعيته إلا حرم الله عليه الجنة " ، " ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة " .

٣- إن المسئولية حق ناتج من الإمامة، والتي هي في الأصل، عقد اجتماعي بين الحاكم والمحكومين " يعطى الخلفاء من أنفسهم أن يسوسوا المسلمين بالحق والعدل وأن يراعوا مصالحهم، وأن يسيروا

(١٠٧) الأنفال : ٢٧ .

(١٠٨) النساء : ١٥٨ .

الوزارة في الفكر السياسي

فيهم سيرة النبي ما وسعهم ذلك، ويعطى المسلمون من أنفسهم العهد أن يسمعوا ويطيعوا، وأن ينصحوا ويعينوا " (١٠٩).

إن الحاكم أو الإمام، وكيل عن الرعية، خاضع لرقابتها وحقوق مساءلتها له، ولها عليه سلطان التولية والعزل والتوجيه .

وقد أوجب الله تعالى : ورسوله الكريم ضرورة الوفاء بالعقود وعدم الإخلال بشروطها . يقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (١١٠). « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا » (١١١). ويقول عليه الصلاة والسلام : " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر " (١١٢).

ومن هنا كان من حق المسلمين مساءلة الإمام وأعوانه ومنهم الوزراء عن عدم الوفاء بالعهد، لأنهم أفراد كأي أفراد آخرين من أفراد الأمة، لا فرق بينهم وبين غيرهم إلا بالتقوى والعمل الصالح

(١٠٩) د. طه حسين : الفتنة الكبرى، ط. القاهرة، ص ٦ .

(١١٠) المائدة : ١ .

(١١١) الإسراء : ٣٤ .

(١١٢) رواه الشيخان .

والهيئة التنفيذية الحاكمة مسئولة عن الناس، عباد الله، وهذه الهيئة هي الراعية لهؤلاء العباد، وهي مسئولة عن أى تقصير أو إهمال يقع منها .

٤- رأى البعض أن المسئولية نتيجة المبدأ العملى الذى يقوم عليه نظام الحكم فى الإسلام وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مبدأ يتصل بالسلوك والمسلمون جميعا مطالبون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل الوسائل الممكنة باللسان واليد والسيف .

يقول الزمخشري، وهو من رؤساء علماء المعتزلة، فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (١١٣) .

إن النهي عن المنكر فرض كفاية لا فرض عين، لأنه لا يصلح له إلا من علم كيف يرتب الأمر فى إقامته وكيف يبائسره، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف أو أمر بمنكر، وقد يغلظ فى موضع اللين، أو يلين فى موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيد إنكاره إلا تماديا (١١٤) .

(١١٣) آل عمران : ١٠٤ .

(١١٤) الزمخشري : الكشاف، تفسير آية : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ﴾

وعند ابن حزم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل مسلم إن قدر بيده فبيده، وإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يفعل فلا إيمان له (١١٥).

وهناك آيات كثيرة من القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة تشير إلى أن الاحتجاج على الخطأ البين هو من أهم واجبات الفرد المسلم، وعلى الأخص إذا وقع الخطأ من قبل السلطة التنفيذية الحاكمة يقول تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (١١٦)، «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر» (١١٧). ويقول عليه الصلاة والسلام: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" (١١٨).

(١١٥) انظر: ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، المطبعة المطبعة الأدبية بالقاهرة، طبعة أولى، ١٣١٧هـ / ١٧١/٤.

(١١٦) آل عمران ١١٠.

(١١٧) الحج: ٤١.

(١١٨) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري

ويقول في تطبيقات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : " أفضل الجهاد من قال كلمة الحق عند سلطان جائر " (١١٩) .

وبهذا يمثل مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دستور الحكم في الإسلام، ويصلح أساسا للمسئولية الوزارية . وهو الرأي الذي نراه ونذهب إليه .

ولا يوجد في الإسلام مركز أو منصب يتمتع صاحبه بالقداسة أو السلطة المطلقة . كما أنه لا يخص الإمام أو الحاكم وعماله، بما فيهم الوزراء بمزية خاصة، ولا يرتفع بهم إلى منزلة متفردة بل الكل سواء، إنما يتفاضلون بصفاء العقل وكثرة الإصابة في الحكم .

فإذا اتضح أن الوزير لا يؤدي واجبه بالإخلاص أو الكفاءة المطلوبين، وإذا تأكد عجزه عن القيام بمهام منصبه بسبب العجز البدني الناجم عن ظروف لا سلطان للإنسان عليها (مثل اعتلال الصحة أو خلل في القوة العقلية)، أو العجز الأدبي المعنى بالحديث الشريف " لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف " وجبت مساءلته وعزله من منصبه وتولية من هو أكفأ منه .

(١١٩) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري .

الوزارة في الفكر النيابي

ويخضع وزير التفويض، الذي يتمتع بسلطة كاملة استقلالية للمساءلة، ويؤخذ على كل فعل يأتيه، ويحاسب على نتائج أعماله على النحو الآتي (١٢٠) :

- ١- عجزه عن العمل، وقصور كفايته، فالعمل بالعجز مضاع .
- ٢- اختلال العمل من عسفه أو خرقه، أو بسبب النفور أو الجور .
- ٣- الخروج على مقتضى العدل .
- ٤- عدم الالتزام بأوامر الشرع والانتهاك عن زواجه بإقدامه على شرب الخمر وارتكابه جريمة الزنا .
- ٥- ظهور خيانتـه .
- ٦- إهمال شئون الرعية واستمرار محاباتها له في المعاملة بسبب ولايته .

(١٢٠) انظر : ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الرابعة ١٩٦٩ ص ٤٢، ٤٤، ٤٧ والغزالي: إحياء علوم الدين، مطبوعات دار الشعب بمصر، ج ٥ ص ٨٨٤، ٩١٩، والماوردي : الوزارة، أو أدب الوزير، تحقيق د. محمد سليمان داود، ود. فزاد عبيد المنعم أحمد، دار الجامعات، الطبعة الأولى ١٩٧٦، ص ٤٨، ٧٠، ٩٠، ٩١، ٩٥، ١١٥، ١٢٢، وأيضا : قوانين الوزارة للماوردي ص ٩٠-٩٣ .

٧- تعطيل إقامة الحدود، وأخذ المال مقابل عدم إقامتها عند وجوبها على " الزاني " .

٨- عدم مراعاة وجه الله، وصالح الرعية عند إقامة الحدود والتستر وراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقصد العلو بين الناس

٩- الاختلاس وفي هذا يقول النبي عليه الصلاة والسلام : " من استعملنا منكم على عمل، فكتمنا مخيطا فما فوقه، كان غلولا، يأتي به يوم القيامة " .

١٠- أخذ ما لا يحل من الرعية، وقبول الهدايا بسبب العمل ومن أقواله عليه الصلاة والسلام في هذا : " هدايا الأمراء غلول أي خيانة أو رشوة . وقال أبو حميد عبد الرحمن بن سعيد الساعدي رضي الله عنه : " استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزديين يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قلل : هذا لكم وهذا أهدي إلي، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول : هذا لكم، وهذا هدية أهديت إلي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه، حتى تأتيه هديته إن كان صادقا ؟ والله لا

يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى بحملته يوم
القيامة "

أما عن وزير التنفيذ فإنه يحاسب ويسأل عن
الأعمال التالية^(١٢١)

- ١- إفشاء أسرار الدولة، ولقل ما يعفو رئيس الدولة عن مفضي
الأسرار لتردده بين خيانة وجناية .
 - ٢- التقصير في فحص أحوال الدولة . حتى يعلم ما غاب كعلمه
بالحاضر، ويعلم ما خفى كعلمه بالظاهر .
 - ٣- التأخير في إعلام رئيس الدولة بأحوالها، وإن جاز تأخير العمل
لأن عليه الإنهاء، وليس عليه العمل .
 - ٤- عدم توضيح حقائق الأمور لرئيس الدولة (المملكة)، وعدم التفرقة
بين الصغير من الحقائق، والكبير منها، أو تعظيم الصغير من
الأمور، أو تصغير عظيمها .
- أما عن الجهات التي لها حق مساءلة الوزير ومحاسبته فيأتي في

(١٢١) انظر : الماوردى : قوانين الوزارة ٩٧-١٠٠ .

مقدمتها الإمام أو رئيس الدولة، لأنبيعة الأمة تتم للإمام، ويسأل هو أمامها عن جميع أعماله وعن أعمال معاونيه بما فيهم الوزراء^(١٢٢).

ثم يأتي دور نواب الأمة وممثليها وهم أهل الحل والعقد الذين لهم حق مراقبة الوزراء ومحاسبتهم بتبليغ الإمام بالمخالفات التي توجب عزل الوزير من منصبه، إذ يعتبر هذا من صميم واجباتهم، التي تتضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقديم المشورة والنصح للإمام الذي قد يؤدي تقاعسه عن أداء مهام وظيفته وتهاونه في محاسبة الوزراء إلى مسئوليته شخصياً أمام أهل الحل والعقد أو أهل الاختيار، وأمام الأمة .

ومن المعلوم أن أهل الحل والعقد أو أهل الاختيار هم الذين ينوبون عن الأمة في اختيار الإمام، ويتم الاختيار بطريق البيعة الصحيحة الشرعية . ويقع على أهل الحل والعقد (نواب الأمة وممثليها) إلا ثم إذا قصرت في تأدية مهمة الاختيار لحاكم الأمة وتقديم النصح له . ولخطورة المهمة الملقاة على عاتقهم، اشترط في

(١٢٢) انظر : الشيخ عبد الوهاب خلاف : السياسة الشرعية أو نظام الحكومة الإسلامية، ص ٧ وما بعدها .

الوزارة في الفكر السياسي

أفراد هذه الجماعة أن يكونوا عدولا وأهل علم وخبرة، حتى يتسنى لهم أداء المهمة الخطيرة الموكولة إليهم على خير وجه .

كما تتم محاسبة الوزراء أيضا أمام والى المظالم . وتعتبر ولاية " النظر في المظالم " نوعا من القضاء العالى، يتعلق بمقاضاة رجال السلطان من وزراء ونوابهم، ونظام موظفى الدولة من ظلم الرؤساء وجورهم، وعلى هذا فإن سلطة الناظر فى المظالم أعلى من سلطة القاضى والمحتسب معا . ولذا فهو أشبه ما يكون من الناحية الغالبة على اختصاصاته بالقضاء الإدارى عندنا الذى هو أحد قسمنى مجلس الدولة، كما أنه فى بعض اختصاصاته يشبه بوجه مسا عمل النيابة الإدارية والمحاكم التأديبية (١٢٣) .

ويوضح مسئولية الوزير أمام والى المظالم ما حدث فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، إذ خاصم يهودى عليا بن أبى طالب رضى الله عنه، وهو وزير عمر، كما أوضحنا ذلك سابقا، فما كان من الخليفة عمر إلا أن استدعى عليا - دون نظر إلى

(١٢٣) انظر : محمد سلام مذكور : القضاء فى الإسلام، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٤ ص ١٤٢ .

منزلته - إلى مجلس القضاء وأمره بالوقوف حتى يساوى بينه وبين خصمه اليهودي .

بان لنا إذن، أن من أهم اختصاصات قاضي المظالم النظر في تعدى الولاية، ومنهم الوزراء على الأفراد والجماعات مستهدفاً في ذلك إنصافهم من ظلم الولاية والوزراء وتحقيق العدل بين الجميع . وبهذا يساوى الإسلام بين الجميع أمام شرع الله، ولا يقر لأحد بمنزلة خاصة أمام القانون، كما لا يوجد فيه إنسان فوق المحاسبة والمسئولية، حاكماً كان أو والياً أو وزيراً .

أما في الغرب فإن مسئولية الوزراء هي مسئولية شاملة . فالوزراء مسئولون مدنياً وجنائياً في جميع النظم السياسية . فمسئوليتهم المدنية إنما تكون عن الأضرار التي تنجم عن مزاولتهم لوظائفهم، أما المسئولية الجنائية فتنتج عن الجرائم التي يرتكبها الوزراء أثناء ممارستهم لهذه الوظائف . ويتميز النظام البرلماني بتقرير المسئولية السياسية للوزراء التضامنية والفردية * .

* د. ثروت بدوي : النظم السياسية، الجزء الأول، النظرية العامة للنظم السياسية، دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٧٠ ص ٣٣٣، وانظر : د. سيد رجب السيد : المسئولية الوزارية في النظام السياسي الإسلامي .

الوزارة في الفكر السياسي

وتوجب المسؤولية الوزارية التضامنية استقالة الوزارة بكامل هيئتها عند عدم نجاحها في اكتساب ثقة البرلمان أو هيئة الناخبين .
ولم تكن مسؤولية الوزراء التضامنية هذه في السياسة التي يتبعونها في تسيير أمور البلاد معروفة في النظام الإنجليزي حتى أواخر القرن الثامن عشر .

◆ نصائح للوزير :

اهتم فقهاء الإسلام بالوزير اهتماما كبيرا نظرا للدور الخطير الذي يلعبه في إدارة شؤون الدولة، وكونه معينا للإمام أو الحاكم برأيه وتدبيره . ومن هنا وجهوا إليه مجموعة من النصائح والوصايا الهامة، مما يعينه على حسن تأدية أعماله، ويبقى أن الهدف منها أولا وأخيرا مصلحة الدولة ومنفعة المحكومين . وفي أمثال هذه النصائح يقول الأستاذ العقاد (١٢٤) :

" النصائح التي من هذا القبيل لها نظائر في الدساتير الحديثة يقول فقهاء السياسة : " إن الملك لا يخطئ " . ويعنون بذلك وظيفة الملك لا شخصا بعينه بوصف بالعصمة وهي مستحيلة في الناس .

(١٢٤) عباس محمود العقاد : الديمقراطية في الإسلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ص ١٧٣ .

إلا أن المبدأ في ذاته سليم من حيث يقوم على مطالبة الحاكمين بالصفات التي تنفع المحكومين على أحسن مثال، ولا تخولهم الأمر والنهي إلا بما فيه صلاح للمأمورين والمتهمين، ولو كان الحكم حقا للحاكم ومصلحته الشخصية لما لزمته هذه الصفات، إلا أن يكون الكمال مطلوباً لكل إنسان من الحاكمين أو المحكومين .

وعلى الجملة تقوم النصائح والوصايا في هذه الكتب جميعاً على قاعدة واحدة : " وهي الحكم لمصلحة المحكومين " .

وقد حرص الفقهاء في هذه النصائح والوصايا بأن يلتزم الوزير أصول الشريعة السمحاء ومبادئ الأخلاق القويمة . ويمكن لنا أن نجمل هذه النصائح في :

- ❑ ضرورة مراقبة الوزير ربه في السر والعلانية، ويحاسب نفسه قبل أن تحاسب، فصلاح الأعمال نذر للإنسان عند ربه .
- ❑ الالتزام بمبادئ الدين الحنيفة، فيذل له كل صعب، ويتسهل عليه كل خطب .

- ❑ التمسك بمقتضى العدل، وأن يكون عادلاً تقياً، وأن يعدل في جميع تصرفاته وأفعاله، حتى يسهل انقياد الناس إليه، " لأن العدل استثمار دائم، والجور استئصال منقطع " .

والعدل أنواع : عدل بالأموال، وعدل بالأقوال، وعدل بالأفعال،
فعدلك بالأموال، أن تؤخذ بحقها . وتدفع إلى مستحقها . وعدلك
في الأقوال، أن لا تخاطب الفاضل بخطاب المفضول ولا العالم
بخطاب الجهول، وعدلك في الأفعال أن لا تعاقب إلا على ذنب،
ولا تغفو إلا عن إثابة . على أن لا يبعثك السخط على إطراح
المحاسن، أو يحملك الرضا على العفو عن المساوئ .

□ الحرص على الوفاء بالعهود، لأن الوعد حق على الوزير.

□ الابتعاد عن الانفعالات وفي مقدمتها الغضب " وليكن غضبك
تغاضباً، تملك به عزمك وتقوم به خصمك " (١٢٥).

□ التدقيق في اختيار نوابه ومعاونيه في الوزارة من الرجال
الأكفاء، راجح العقول، سديدي الرأي، دون استتثار منهم،
حتى لا يكون هناك إرهاب لميزانية الدولة، أو اضطراب وتنسافر
في الأعمال. " ولأن يكون العمل خالياً فينصرف إليه فكرك، أولى
من أن يباشره عاجز وخائن، فاحذر العاجز فإنه مضيع، وتوق
الخائن فإنه يكدر لنفسه "، " وليكن أعوانك وفق عملك، فإنه

أنظم للشمل، وأجمع للعمل، وأبلغ للاجتهاد، وأبعث على النصح".

❑ ضرورة مباشرة الوزير أغلب الأعمال بنفسه، دون اتكال في ذلك على نوابه ومعاونيه، ضمانا لحسن تأدية الأعمال .

❑ عدم التعويل على التهم والظنون، وطرح الشك باليقين .

❑ تجنب الانغماس في الشهوات حتى لا يصرفه ذلك عن جليل الأعمال، وأن يكون شعاره الاعتدال في كل شيء .

❑ الاستجابة لدعوة المظلوم، والصبر على قضاء حوائج الناس.

❑ رفض قبول المدح من المتملقين والمنافقين أصحاب المصالح الذاتية، " فإن النفاق مركوز في طباعهم " .

❑ عدم الانسياق إلى كثرة الإدلاء بالأقوال والوعود الجوفاء وليكن فعل الوزير أكثر من قوله، فإن زيادة القول على الفعل دناءة وشين .

❑ الحرص على راحة الجسم وصفاء العقل، ليكسونا ذلك عوننا للوزير على النظر الصائب والتفكير السديد .

❑ مشاورة أهل الرأي والفضل والعلم والعقل، والديين والأمانة

والعفة والتجربة، لا يجوز للوزير أن يغفل هذا الأمر، ويضرب عنه صفحاً مع علو منزلته، والهدف من وراء كل ذلك هو صلاح حال الدولة . وعلى وجه العموم، فإن هذه النصائح هي أشبه ما تكون بدستور مكتوب للوزراء .

◆ تعيين الوزير:

جرت العادة على اختيار الوزير من بين المثقفين ثقافة أدبية المتمتعين بخبرات تامة بشئون الدولة الإدارية والمالية . فإذا ما رشح شخص للوزارة، سار إلى دار الخلافة برفقة اثنين من الأمراء، كلفهما الخليفة بإحضاره، وهناك يخبره الخليفة باختياره وزيراً، ثم يتجه إلى حجرة مجاورة ليرتدى ملابس التشريف وهي القباء (١٢٦) والسيف والمنطقة (١٢٧) المحليين بالذهب، ثم يمثل بها أمام الخليفة فيقبل يده، وينصرف إلى الخارج ممتطياً ظهر حصان مزين ويذهب به إلى الدار المخصصة للوزارة يصاحبه الأمراء والوجهاء وكبار المسؤولين . فإذا وصل إلى دار الوزارة وسط

(١٢٦) القباء : نوع من الثياب، وسمى بذلك لاجتماع أطرافه، انظر : ابن منظور : لسان العرب ١١٩/١٠ .

(١٢٧) المنطقة : الحزام، أي كل ما يشد به المرء وسطه، المصدر السابق ٣٥٥/١٠ .

مظاهر الاحتفال، توافد عليه الناس بمختلف فئاتهم للسلام والتهنئة (١٢٨).

أما عن راتب الوزير، فلم يكن محدوداً، أو مقصوراً على الوزير نفسه، بل كان يعطى كل ولد من أولاده وإخوته وراتب معينة في كل شهر . وقد بلغ راتب الوزير في أوائل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) خمسة آلاف دينار في الشهر، يضاف إلى ذلك الإقطاعات والهدايا والخلع التي كان يقدمها الخليفة لوزيره في المواسم والأعياد .

◆ منصب نائب الوزير :

نظراً لأهمية منصب الوزير وخطورته، وتعدد واجبات الوزراء من حيث السعى في عمارة البلاد، وإصلاح خللها، وتنمية الأموال، وتحسين الزراعة والصناعة، وإنعاش الاقتصاد بصفة عامة، وتشجيع العلماء والأدباء، وبالنظر أيضاً إلى استحالة قيام الوزير بمفرده بأعمال الوزارة، فقد ظهر منصب " نائب الوزير "، وكان هذا على وجه التحديد في العصر العباسي . وقد عد ظهوره مظهراً من

(١٢٨) انظر : الصابغ (هلال بن الحسن) : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٣٦، ٢٨ .

الوزارة في الفكر السياسي

مظاهر تطور الوزارة في ذلك العصر . وقد عمد الخلفاء إلى تعيين :
نائب للوزير في الفترات التي تعقب عزل أحد الوزراء حتى لا
تتوقف أعمال الوزارة، وتتدخل مصالح العباد . كما لجأ البعض منهم
إلى هذا التعيين، أيضاً، في بعض الأحيان، التي تنعدم فيها ثقة الخليفة
في وزيره .

وإذ كان من الجائز أن يعين الوزير " نائباً له " فإنه كان من الجائز
أيضاً أن يعين " نائبين " له في الوزارة، لمعاونته في تسيير أمور وزارته
ومشاركتهما له فيها، حتى لا يتوقف دولا ب الأعمال في الدولة .

❖ خاتمة وتعليق

□ يحق لنا في مقام الختام أن نوجه الأنظار إلى أن منصب الوزارة، هو منصب عربي إسلامي بحت، ليس مأخوذاً عن الفرس أو غيرهم من الشعوب الأخرى، كما يحلو لبعض الباحثين، غربيين كانوا أو شرقيين، أن يقول بذلك .

□ كلمة وزير هي كلمة عربية الأصل، لا علاقة لها أو صلة بكلمة وزير الفارسية، التي تعنى القضاء أو الحكم أو التقرير . أما عن التشابه بين الكلمتين فإنه لا ينهض دليلاً على الاقتباس المزعوم، خاصة إذا علمنا أن كلمة Vicir الفهلوية لم تستعمل كلقب لأي وظيفة كبيرة أو صغيرة أو رتبة في الإمبراطورية الفارسية .

يضاف إلى ذلك أنه في الوقت الذي كانت فيه سلطات الوزير الفارسي ضئيلة جداً، نجد أن سلطات الوزير في العهد الإسلامي - بعد شيوع نظام الوزارة ورسوخها - كانت واسعة ومتعددة، وكان نفوذه أقوى مما كان عليه في العصر الفارسي .

يحق لنا - بعد هذا - أن ننكر الأصل الساساني للوزارة في الإسلام، ونؤكد، من ناحية أخرى، عروبة الكلمة، وإسلامية المنصب والرتبة والاختصاصات .

□ يرجع لفقهاء الإسلام، وفي مقدمتهم الماوردي، الفضل الأول في تقسيم الوزارة إلى وزارة تفويض ووزارة تنفيذ[❦]، منذ ما يقرب من ألف عام . وهم بهذا الصنع غير مسبوقين، وقد تابعهم في هذا التقسيم من بعد ذلك الكثيرون من الفقهاء والباحثين المعاصرين من رجال الفكر الدستوري في الغرب، الذين لم يعرفوا هذا المنصب إلا في القرن السابع عشر الميلادي ثم أخذ يتطور بعد ذلك حيث لم يكن معروفاً قبل ذلك في الأنظمة والدساتير الحديثة بهذه الحدود والأوصاف وأوضاع واختصاصات الوزراء الآخرين التي حددها فقهاء الإسلام قبل ذلك بقرون عديدة .

□ عرف المسلمون منصب " نائب الوزير " في العهد العباسي وكان ظهوره مظهراً من مظاهر تطور الوزارة في ذلك العهد . كما كان للوزير الحق، في ذلك العصر في أن يعين نائبين له في الوزارة لمساعدته في سرعة إنجاز الأعمال في الدولة .

□ منصب وزارة التفويض، أو الوزير الأول، أو رئيس الوزراء، هو في حقيقته منصب وزارة قلم، يتولاه الرجل المتخصص

❦ يقابل وزارة التفويض في عصرنا الحديث منصب الوزير الأول أو رئيس الوزراء، ويقابل وزراء التنفيذ السوزراء العاديون كوزراء المالية والحربية والعدل والخزانة.

الوزارة في الفكر السياسي

الصالح الحكيم، المثقف ثقافة واسعة، العليم بأسرار الحكم، الخبير بالسياسة الذي يحكم بمقتضى علمه وثقافته الواسعة، ومن هنا عدت هذه الوزارة أفضل أنواع الوزارات على الإطلاق . وبهذا أعلن فقهاء الإسلام كراهيتهم البالغة لكل شكل من أشكال الحكم العسكري الذى يعتمد على القوة، ويعادى العقل والعلم والخبرة .

□ تمتع الوزير فى الإسلام بسلطة استقلالية، ومكانة فريدة ممتازة، لم يتمتع بهما وزير من قبل أو من بعد، يستوى فى ذلك الوزير فى مصر القديمة والصين واليونان وبلاد الرومان، أو الوزير فى العصر الحديث، والذى لم تتحدد مهام وظيفته إلا فى القرن الثامن عشر الميلادى .

□ أباح علماء الإسلام ومشرعوه، منذ قرون عديدة أن يلقى الوزارة والمناصب الهامة فى الدولة الإسلامية رجل على غير الدين لا المذهب، وبذلك يجوز أن يكون وزير التنفيذ مسيحياً أو يهودياً، وهذا بخلاف وزير التفويض الذى يولى ويعزل ويباشر الحكم ويسير الجيوش ويتصرف فى بيت المال . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل دلالة قاطعة على تسامح الإسلام وسمو تعاليمه ورفقى مبادئه ورحابة صدره .

❖ مراجع البحث

١- المراجع العربية :

❖ ابن تيمية (تقى الدين) :

❧ السياسية الشرعية في إصلاح الراعى والرعية، دار الكتاب العربى بمصر، الطبعة الرابعة ١٩٦٩ .

❖ ابن خلدون (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم) :

❧ مقدمة ابن خلدون، تحقيق وتعليق على عبد الواحد وافى، لجنة البيان العربى بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٦ .

❖ ابن طباطبا (محمد بن على) :

❧ كتاب الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٧هـ .

❖ ابن العربى (أبو بكر) :

❧ أحكام القرآن : القسمان الأول والثانى، الطبعة الثانية ١٩٦٧
والقسمان الثالث والرابع، الطبعة الثانية ١٩٦٨ .

✽ أبو يعلى الفراء (محمد بن الحسين) :

✽ الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨ .

✽ أحمد بن الداية :

✽ الفلسفة السياسية عند العرب، تحقيق الدكتور عمر المسالكى، الجزائر ١٩٧١ .

✽ بارتولد :

✽ تاريخ الحضارة الإسلامية، نقلة إلى العربية حمزة الطاهر، القاهرة ١٩٤٣ .

✽ الثعالبي (أبو منصور) :

✽ تحفة الوزراء، مخطوط بدار الكتب المصرية فى مجلد باسم الخصائص رقم (٥٠٥ ش جـ ٣) .

✽ ثروت بدوى (الدكتور) :

✽ النظم السياسية (النظرية العامة للنظم السياسية) دار النهضة العربية بالقاهرة جـ ١ / ١٩٧٠ .

❖ جاك دونديو دوفايير :

❧ الدولة، ترجمة سطوحى فوق العادة، مكتبة عويدات، بيروت،
الطبعة الأولى، ١٩٧٠ .

❖ الجهمشيارى (أبو عبدالله محمد بن عبدوس) :

❧ كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة
مصطفى البابى الحلبي، الطبعة الأولى بالقاهرة .

❖ الجهمشيارى (أبو عبدالله محمد بن عبدوس) :

❧ نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجهمشيارى،
جمعها من مصادر مخطوطة ومطبوعة وعلق عليها ميخائيل
عواد، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٤ .

❖ جواتيانن (س-د) :

❧ دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق
الدكتور عطية القوصى، وكالة المطبوعات بالكويت ١٩٨٠ .

❖ حسن إبراهيم حسن (الدكتور) :

❧ تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، الطبعة
السابعة، القاهرة، ١٩٦٤ .

✽ حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن (الدكتوران) :

◀ النظم الإسلامية، طبعة القاهرة ١٩٣٩

✽ حمدي المناوي (الدكتور) :

◀ الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف
بمصر، ١٩٧٠ .

✽ رافت شفيق شنبور (الدكتور) :

◀ دستور الحكم والسلطة في القرآن والشرائع ١٩٥٤ .

✽ السيد صبري (الدكتور) :

◀ الوزير الأول في إنجلترا، مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٤٧ .

✽ سيد رجب السيد (الدكتور) :

◀ المسئولية الوزارية في النظام السياسي الإسلامي، القاهرة .

✽ الشيرازي (علي بن أحمد بن محمد بن أبي بكر) :

◀ تحفة الملوك والملاطين في الخلافة والسلطنة والوزارة،
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٧٢) اجتماع تيمور) .

❁ الصابىء (أبو الحسن الهلال بن المحسن) :

❧ كتاب الوزراء أو تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة عيسى البابى الحلبي ١٩٥٨ .

❁ صبحى الصالح (الدكتور) :

❧ النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين ببيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٥ .

❁ عبد الحى الكتانى (الشيخ) :

❧ نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربى، بيروت .

❁ عبد الحميد متولى (الدكتور) :

❧ أزمة الفكر السياسى الإسلامى، منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٧٠ .

❁ عبد الحميد متولى (الدكتور) :

❧ مبادئ نظام الحكم فى الإسلام مع المقارنة بالنظم الدستورية الحديثة، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى .

✻ عبد الوهاب خلاف (الشيخ) :

✧ السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية في الشئون الدستورية
والخارجية والمالية، دار الأنصار، بالقاهرة ١٩٧٧ .

✻ الغزالي (أبو حامد) :

✧ إحياء علوم الدين، مطبوعات كتاب الشعب بالقاهرة، جـ ٥

✻ فتحي عبد الكريم (الدكتور) :

✧ الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي — دراسة مقارنة، مكتبة
وهبة بالقاهرة ١٩٧٦ .

✻ فؤاد محمد شبل :

✧ حكمة الصين، دار المعارف، مصر، الجزء الأول ١٩٦٧ .

✻ فؤاد محمد شبل :

✧ الفكر السياسي، دراسات مقارنة للمذاهب السياسية
والاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر، الجزء
الأول ١٩٧٤ .

❁ لاسكى (هارولد) :

❧ أصول السياسة، ترجمة محمود فتحى عمر، إبراهيم لطفى
عمر، مراجعة الدكتور بطرس بطرس غالى، دار المعارف،
بالقاهرة .

❁ الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب) :

❧ الأحكام السلطانية، تصحيح محمد بدر الدين النعسانى الحلبي،
مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م .

❁ الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب) :

❧ قوانين الوزارة، تحقيق ودراسة د. صلاح الدين بسيونى
رسلان، ط. نهضة الشرق بالقاهرة ١٩٨٦ .

❧ الوزارة أو أدب الوزير، تحقيق الدكتور محمد سليمان داود، فؤاد
عبد المنعم أحمد، دار الجامعات بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٧٦ .

❁ ميتز (آدم) :

❧ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة
فى الإسلام ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، دار الكتاب
العربى، ببيروت، المجلد الأول، الطبعة الرابعة ١٩٦٧ .

❁ ميشيل ستيوارت :

« نظم الحكم الحديثة ترجمة أحمد كامل، مراجعة د. سليمان الطماوي، دار الفكر العربي بالقاهرة (سلسلة الألف كتاب)، الطبعة الأولى ١٩٦٢ .

❁ محمد حميد الله (الدكتور) :

« مجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار الإرشاد ببيروت ط. ١٩٦٩ و ط. ١٩٧٣ .

❁ محمد ضياء الدين الرئيس (الدكتور) :

« النظريات السياسية الإسلامية، مكتبة دار التراث بالقاهرة الطبعة السابعة ١٩٧٩ .

❁ محمد عبد الله دراز (الدكتور) :

« دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، تعريف وتعليق دكتور عبد الصبور شاهين ومراجعة الدكتور سيد بدوي، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٢ م .

✽ محمد عبد الله العربي (الدكتور):

✽ نظام الحكم في الإسلام، دار الفكر العربي بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٨ .

✽ محمد يوسف موسى (الدكتور):

✽ نظام الحكم في الإسلام، القاهرة ط. ١٩٦٤ و ط. ١٩٦٨ .

✽ مصطفى أبو زيد (الدكتور):

✽ فن الحكم في الإسلام، المكتب المصري الحديث بالقاهرة، ١٩٨١ م .

✽ مصطفى الخشاب (الدكتور):

✽ تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية، مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٣ .

✽ مصطفى كمال وصفي (الدكتور):

✽ الإسلام والنظام الإداري، القاهرة، القسم الأول ١٩٧٤ .

✽ النظام الدستوري في الإسلام مقارناً بالنظم المعاصرة، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى .

❁ ول ديورانت :

❧ قصة الحضارة ترجمة محمد بدران، الجزء الثاني من المجلد
الأول، الطبعة الثالثة بالقاهرة ١٩٦٣ .

٢- المراجع الأجنبية :

- ❑ Bowen (Harold) : The Life and Times of Ali Ibn Iss
The Good Vizier Cambridge , 1928 .
- ❑ Duverger : Introduction à la Politique , Paris, 1964 .
- ❑ Encyclopedia of Islam , Vol 4-2 .
- ❑ Nicoholson : A Literary history of The Arabs .
- ❑ Nicoholson : A Literary history of the Arabs .
- ❑ Sourdel : Le Vizirate Abbaside Vol.1.

المحتويات

الصفحة

الموضوع

٧	تمهيد
٩	الوزارة في العالم القديم . .
٩	الوزارة في مصر الفرعونية .
١٣	الوزارة في الصين القديمة .
١٧	الوزارة في اليونان القديمة .
١٩	الوزارة عند الرومان .
٢٣	نشأة الوزارة في الإسلام :
٤١	التطور التاريخي لمنصب الوزارة في الإسلام —
٤٦	الاشتقاق اللغوي لكلمة الوزارة ومعناها —
٤٩	نوعا الوزارة
٥٠	وزارة التفويض :
٥٣	اختصاصات وزير التفويض
٥٦	شروط وزير التفويض
٥٨	تعدد الوزارة
٥٨	وزارة التنفيذ
٦١	شروط وزير التنفيذ

٦٧	◆ في الحقوق المشتركة بين الوزارتين
٦٨	◆ الوزارة في القصير والحصيث
٧٤	✻ مسؤولية الوزارة
٧٧	◆ شروط المسؤولية الأخلاقية والصينية
٨١	◆ المسؤولية الاجتماعية
٨٤	✻ الأسس التي تقوم عليها المسؤولية في الإسلام
٩٧	◆ نصائح للوزير
١٠١	◆ تعيين الوزير
١٠٢	◆ منصب نائب الوزير
١٠٥	✻ خاتمة وتعليق
١٠٩	✻ المراجع

هذا الكتاب

يعد هذا الكتاب تأصيلاً لمنصب الوزارة ،
وتعريفاً بكيفية نشأته في الإسلام .

ويلفت الكتاب الأنظار إلى أن منصب الوزارة
هو منصب عربي إسلامي بحث ، ليس مأخوذاً عن
الفرس أو غيرهم من الشعوب الأخرى كما يحلو
لبعض الباحثين تردد ذلك . كما يكشف عن سبق
فقهاء الإسلام ، بقرون عديدة ، لمفكرى الغرب
وفقهاءه في تفرقتهم الشهيرة بين وزارة التفويض
ووزارة التنفيذ ، وضرورة أن يتولى منصب وزارة
التفويض الرجل المتخصص ، المثقف ثقافة واسعة ،
العليم بأسرار الحكم ، معلنين بذلك عن كراهيتهم
البالغة لكل شكل من أشكال الحكم العسكري الذى
يعادى العقل ، ويكره العلم والخبرة .

أحمد غريب

To: www.al-mostafa.com